



مذاهب و شخصیات

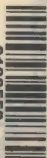
حَفِیَّةُ الرُّسُولِ

نِجَاتٌ مِنْ سِیرَةِ السَّیِّدَةِ زَیْنَبَ

بِقَاسِمِ
أَحْمَدَ الشَّرَافِی



0185552



Bibliotheca Alexandrina

اهداءات ١٩٩٩

مكتبة

د. محمد الحميد بدوي

القاضي بمحكمة العدل الدولية

مذاهب وشخصيات

حَفِيَّةُ الرَّسُولِ

نفحات من سيرة السيدة زينب

بقلم
أحمد الشرباصي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله تبارك وتعالى ، ونصلي ونسلم على أنبيائه ورسله ،
وعلى خاتمهم سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وأتباعه ومن دعا
بدعوته بإحسان إلى يوم الدين ، ونستفتح بالذي هو خير ، « رَبَّنَا
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » .

قَبَسٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ، أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ؟ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ » .

« سورة الشورى »

الاهداء

إلى الذين يدعون ربهم قائلين : اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا
تباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .

إلى المؤمنين القاتنين الداعين ربهم قائلين : « اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ » .

إلى الذين يعبدون خالقهم ، ويتبعون نبيهم ، ويحبون آله
الطيبين الطاهرين ، ويعبرون عن هذا الحب بالقول الطيب ،
والعمل الصالح ، والافتداء الكريم .

إلى هؤلاء أهدى هذه الصفحات .

تصدير

هذه نقحة من نقحات البتول الطاهرة ، السيدة زينب رضى الله عنها ، فرع تلك اللوحة المحمدية التي بارك الله تعالى فيها ، وأنبثها أحسن نبات ، وزكاها أسمى تزكية ، وطهرها بفضله تطهيراً ، وجعلها شجرة مباركة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها جل جلاله ، قتهدى من ضلال ، وتجمع من فرقة ، وتشع على المالمين بالضياء ، وتهديهم طريق السناء ...

أضعها أمام أولئك الأوفياء البصراء العقلاء الذين تتلى قلوبهم حباً لرسول الله تبارك وتعالى وآل بيته الأكرمين ، عليه وعليهم صلوات ربهم وسلامه أجمعين ، ويريدون أن يجدوا الوسيلة السليمة التى يعبرون بها عن ذلك الحب العميق ، لعلمهم يجدون فيها نبراساً يدهم على ذلك الطريق !!

هذا ولقد كنت سطرت تلك الكلمات منذ ثمانية عشر عاماً ،
ثم رجعت إليها اليوم أعيد فيها النظر ، وأجبل في كلماتها القلم ،
مع تمجل وتحقف ، راجياً أن تسعى إلى قرائها في ثوب جديد ،
إن لم يتم له الجمال فحسبه حسن النية وخلوص الطوية ، « وَعَلَى اللَّهِ
قَصْدُ السَّبِيلِ » .

محمد اشمع باصم

مقدمة

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، أَنْتَ «مَالِكُ الْمُلْكِ» ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ،
وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، يَدُوكِ
الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَتُوَلِّجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ
الْحَيِّ ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ^(١) . سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ !
خَلَقْتَ الْخَلْقَ ، وَأَجْرَيْتَ الرِّزْقَ ، وَجَعَلْتَ النَّاسَ أَعْمَاءَ وَشُعُوبًا ،
وَطَوَائِفَ وَأَلْوَانًا ، لَا تَفْرَقُهُ أَوْ تَشَاخُنَ ، بَلْ لَتَعَارَفَ وَتَعَاوَنَ ،
وَلَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عِنْدَكَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، وَمَا الْحَسَبُ وَالنَّسَبُ ، وَالْقَرَابَةُ
وَالْوَسِيلَةُ ، وَالْمَالُ وَالْجَاهُ ، وَالصَّنْعُ وَالْكِبَرُ ، إِلَّا أَعْرَاضُ عَدِيَّةٍ
الْقِيَمَةُ بِجَوَارِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْعَقِيدَةِ الثَّابِتَةِ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» ^(٢)
وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى ،
كَلِمَةُ لَادَمْ وَآدَمْ مِنْ تَرَابٍ . . . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ : رَبِّ

(١) سورة آل عمران : الآيات ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

الأرباب ، وموجد الأسباب ، وإليك المرجع والمآب ، ومنك الثواب والعقاب ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك الذي كان يقول لآله : « اعملوا فإني لا أغنى عنكم من الله شيئاً » . ويقول : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ! ... فعليه صلواتك وتسليماتك ، وآلاؤك وبركاتك ، وعلى آل بيته الرفيع الجناح ، وأصحابه أولى الحكمة وفصل الخطاب ، ومن دعا بدعوته ، وسار على طريقته ، وانتظم في كتيبته ، واستن بسنته ، واستمسك بأبشريته ، أولئك الذين هدام الله ، فبهدام اقتله ، وأولئك هم ولو الألباب !.

عسادة الموالد

اعتاد المصريون المسلمون أن يحتفلوا في النصف الأول من شهر رجب المبارك في كل عام بإقامة المولد الزينبي في حي السيدة زينب بالقاهرة، فتوجه الدعوات، وتجهز المعدات، وتنصب السراقات، وتُنشر الرايات، وتمقد الحلقات، وتجمع النذور، وتوزع الصدقات، وتلقى الدروس والعظات، والخطب والمحاضرات، ما بين دينية وتاريخية واجتماعية، وتشترك الهيئات الإسلامية بنصيبها في ذلك الاحتفال. وتقبل ألوف الفلاحين والمريدين من أقصى البلاد وأدناها، ليشهدوا ذلك المهرجان الطويل الحافل المجموع له الناس من كل حذب وصوب، فأنت ترى فيه الأطفال والعلماء والفتيان والشباب، والرجال والكهول والشيخوخة، كما ترى الفتيات والآنسات والسيدات والمجانز. كل أولئك قد جاءوا من قريب أو بعيد ليأخذوا نصيبهم من الاحتفال، مع اختلاف وتفاوت في العناية والاهتمام!..

ولمثل هذه المواسم الدينية، والموالد التي تتصل بذكريات الأسرة النبوية المحمدية، وأعجاد تاريخها الرائع، ومفاخر أيامها الباقية، منافعها وفوائدها ومزاياها — وإن كانت تقليدًا مبتدعًا في عصور

متأخرة عن الصدر الإسلامى الأول — ففى لون من الوفاء لآل بيت
الرسول الكريم عليه وعليهم الصلاة والتسليم ، وهى ذكرى قد
تنبه الغافلين من المسلمين ، وهى فرصة لاستعراض صفحات من
التاريخ الإسلامى الحافل بالبر والعظاات والبطولات ، وهو ميدان
صالح لتقديم القربات وفعل الخيرات ، والمطف على الفقراء
والمساكين .

وهى مناسبة كريمة قد تنفع فيها التوبة ، ويقبل فيها رجاء
الفقران ، خصوصاً حينما تفيض من هذه الجموع المسئلة أنوار الإنابة
والخشوع والإيمان ، وتستيقظ فيهم بموامل التذكير والاعتبار
والاجتماع عواطف الخير ونوازع الإحسان ، وقد تكون كذلك
وسيلة من وسائل التعارف والإخاء ، أو النصيحة والإرشاد ، وهى
أخيراً نوع من عاداتنا وتقاليدها الإسلامية التى تربطنا بآثار
الإسلام برباط وثيق أو رقيق !!! .

منكرات الموالد

ولكن - وليت القول كان خاليا من « ولكن » هذه ! -
ولكن ! . ليت الأمر كان خيرا كله ، وليتنا كنا ممن يستمعون
القول فيتبعون أحسنه ، ويستقيمون على الجادة ، فلا يميلون
ولا يضطربون ، أو ممن يختارون عند مفترق الطرق سبيل الرشاد ،
ويحذرون مهاوى الفساد ! . وليت هذه المواسم وتلك الموالد
خلص لها خيرها ومزاياها ، وتحررت عن شرها وخطاياها ! ...
إذن لأيدناها كلها بما استطعنا ، ولطلبنا منها المزيد والمزيد ،
ولكن الواقع المشاهد ينادى بأنها أخلاط وأمشاج ، وأن شرها
المتكاثر يكاد يطنى على خيرها المتضائل . .

نعم ! . . . فازالت الجرائم الخلقية والمادية كثيرة وسط الزحام
الذى يشد في أثناء هذه الموالد ، والذى يختلط فيه الحابل بالنابل ،
والصالح بالطالح ، والنساء بالرجال ، والأطهار بالأنذال ، وبعض
النساء يعلن إلى التهلك والفجور ، والشبان كدأهم في الخلاعة
والمجون . والنذور كثيرة سخية ، ولكنها في الغالب تذهب إلى
غير المستحقين ممن يسيطرون أو يشرفون ، والأعمال البهلوانية
والشطحات الادعائية توصف بأنها عبادة واستغفار ، أو تصوف .

واستفراق ، والدجل والشعوذة تجارة رابحة للمأفونين من
المتظاهرين بالتقوى والصلاح :

لا تتخذنك اللهى ولا الصورُ تسمة أعشار من ترى بقرُ
تراهمو كالجراد منتشرًا وليس فيه لطالب وطر!
فى شجر السرو منهم مَثَلٌ له رواء ، وما له ثمر!

ولقد سئل ابن المبارك : من الناس ؟ . فقال : العلماء ! (يعنى
العاملين بعلمهم) . قيل : فمن الملوك ؟ . قال : الزهاد ! (والسنى
هو القناعة) قيل : فمن السفلة ؟ . قال : الذين يأكلون الدنيا
بالدين !!! .

ولله در الذى يقول :

ليس التصوف لبسَ الصوف والخلق
بل التصوف حسنُ السمى والخلقِ
فالبس من اللبس ما تختار أنت ، وقم
جنحَ الظلام ، وأجرِ الدمعَ بالفسق
فرب لابس للدياج يشغله
حبُّ الذى خلق الإنسان من علق
وكم فى ٧ : للخيش تحسبه
ينجو ، وذلك عند المارقين شقى

فإن ذلك لم يحجبه ملبسه
وذا مع اللع مأسور فلم يفق



وكثير من الناس يخطئون خطأ فاحشا ، ويضربون إغرابا
فاسداً في تفسير « الشفاعة » وفهم « الوسيلة » ، فهم يهلون
الأسباب ، ويفرطون في الأعمال ، وينسون الواجبات ، ويشغلون
كواهلهم بالموبقات ، ويسودون صحائفهم بالدنس والرجس ،
والخبث والمنكرات .

ثم ينتهزون فرصة هذه الموالد وتلك المواسم ليرددوا فيها
حزباً ، أو يتظاهروا بتوبة ، أو يهجموا بكلمة ، أو يشتركوأ في
حلقة ذكر ، أو يطوفوا بضريح ولى ، طائنين أن في هذا وحده
النجاة والتطهير والتكفير ، بل وزيادة الحسنات ومضاعفة الأجر
والثواب ..

وليت الأمر يقف عند هذا ، بل هم يأتون من الأعمال الشبيهة
بالوثنية ، والمظاهر التي تذكر بالإشراك مالا يطيقه المؤمن الحليم ،
فترام يتمسحون بالأضرحة ، ويطوفون حولها خاشعين خاضعين
كأنها الكعبة الحرام ، ويلمعون ستائرهما وكأنها ستائر عرش ربك ،
ويلصقون صدورهم بأبوابها وحديدتها ونحاسها كأنها الملجأ الواقى
من السمير ، ويلصقون خلودهم بعتباتها ، ويسفرون وجوههم

بترابها ، ويلقون الخير والشر ، والثواب والعقاب برضا
ساكني هذه القبور وإرادتهم .

وكثيراً ما يطلبون منهم — وهم أموات وعباد من عباد الله
تعالى — أن يقضوا لهم الحاجات ، ويحققوا الرغبات ، كأنهم
آلهة أو أرباب ، وبإياديك إذا ما جئت هؤلاء وجابتهم باعتراض
أو إرشاد ! .

حقاً ، إنهم قد ضعفوا عن الاستقامة والعمل ، فلبثوا إلى هذا
البهتان ، وبئس السبيل ! ! ! .

فضل آل البيت والأولياء

إننا لا ننكر مالأولئك السادة من آل البيت النبوى الكريم الطاهر ، وما للأولياء من فضل ومنزلة ، ورتبة ومكانة ، فهم مصاييح الهدى وأعلام التقي ، وهم المقربون من ربهم ، الأذنون من نبهم ، العاملون بكتابهم ، المستجاب دعاؤهم ، الذين رضوا عن الله فرضى الله عنهم .

ونحن نعلم أن الإمام البخارى قد روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قوله : « لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام حب أصحابي وأهل بيتي » وأخرج الإمام مسلم عن زيد بن أرقم قوله : « أذكركم الله في أهل بيتي » .

ولكن الحب لا يكون كلاما يردد ، أو زورة تؤدَّى ، أو طوفا بضرىح ، أو تفضيلا لبقعة على بقعة ، أو رجاء من ميت ، أو استغاثة بمقبور ، أو التجاء إلى إنسان مقهور عبد الله مهما كان كريما مقربا ! .

والإسراف في الاعتماد والتوكل على غير الله هو ما يفضى بالناس إلى الإشرار والكفران .

وأوقن أن أولئك الأولياء الصالحين لو بُعثوا من قبورهم لما رضوا عن هذه المنكرات والمآثم التي ترتكب باسمهم ، وتُنسب إليهم وهم منها براء ، وكيف يرضى هؤلاء الأولياء الأكرمون عن كسلهم وسفهم أيها الضالون^(١) وهم قد عمروا دنياهم بالعمل الدائب والجهد المتواصل ، وهم الذين كانت تقبل عليهم الدنيا بنهبها وفضتها وأعراضها وزينتها ، عن طريق الهدية أو الصدقة أو الإحسان أو الصنعة أو الهبة من ملك أو خليفة أو أمير ، فتأبى نفوسهم ، وتترفع همهم ، وتعلو عزائمهم عن هذا الصَّغار ، ولا يطلبون إلا من ربهم ، ولا يكسبون قوتهم إلا من عرق جيبنهم .

ومن قبلهم كانت كتائب الأنبياء والمرسلين لهم نوراً وإماماً ، فهم صلوات الله عليهم وسلامه لم يسألوا أتباعهم على الدين رزقاً أو أجراً ، ولو أرادوا شيئاً من ذلك لحل إليهم أتباعهم كل مافى أيديهم من مال وعقار !!

بل نراهم قد عملوا بأيديهم ، فزرعوا الأرض ، ورَعَوْا النَّم ، واشتغلوا بالتجارة ، ونسجوا الثياب ، واحترفوا غير ذلك من الحرف ، ولم يعتمدوا إلا على خالق الأرض والسموات ، ولم يدخروا إلا صالح الأعمال والقربات ، لأنهم يعلمون كل العلم أن الله لا يقبل

(١) إنما قصد الله الضالة وحدها ، وهناك كثيرون مهتمون بهدى الله المبين .

وساطة أو محسوية أو قرابة في عفوهِ عن ملحد كفور، أو خثار
جبار .

« وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ،
وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ » (١) .

(١) سورة التوبة ، آية ١٠٠ .

كلُّ مجتري بعمله

ليتهم يتدبرون مع التدبرين ما روى عن « زياد » ، فقد أخذ رجلا من الخوارج فحبسه ، ثم أفلت منه ، فأخذ بدله أخاه وسجنه ، وهدده قائلا : إن جئتني بأخيك أطلقت سراحك ، وإلا ضربت عنقك ! .

فقال له الرجل : إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين يذكرك لك فيه أنى برىء لا ذنب لى ، أفتطلق سراحى ؟ قال زياد : نعم ! .

فقال الرجل : فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم — وهو أكرم منى ومنك ومن أمير المؤمنين — وأقيم عليه شاهدين ، هما إبراهيم وموسى عليهما السلام : يقول الحق تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : « أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ^(١) ، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ^(٢) » ! . فقال زياد : خلوا سبيله ، فهذا رجل قد لقن حجة !!! .

(١) أى لا تجعل نفس ذنب قس آخرى ، فكل امرئ شأنه شأنه ، وكل مشول من نفسه .

(٢) سورة الجهم ، آية ٣٦ — ٤١ .

ومعنى هذا أن كل إنسان مسئول عن عمله فقط ، لا يحمل عن غيره ثقلا ولا حملا ، ولا ينفع سواه يوم تنقطع الأسباب ، وتجاهل الأجاب ، وتضيع الأنساب : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(١) » ، « فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاعَةُ ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَيِّهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ^(٢) » !! ...

ولقد خاصم أبو التاهية رجلا علويا ينتسب إلى آل بيت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فقال له العلوى : كيف تخاصمنى وأنت تقول فى دعائك وصلواتك : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، وأنا من آل محمد ؟ فقال له أبو التاهية : إني أقول « الطيبين الطاهرين » ولست منهم ! ..

فاستطاع أبو التاهية بذلك أن يفحصه ، لأن القرابة من الطيبين شىء ، والعمل بهديهم شىء آخر ، ولو اتكل الأنبياء على منازلهم من ربهم لناموا ملء أعينهم ، ولهوا طول حياتهم ، ولكنهم على العكس من ذلك كانوا أخوف الناس من الله ، وأشدهم نصبا فى طاعته ، وصدق الذى قال : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » ... وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ! ..

(١) سورة الشعراء ، آية ٨٩ .

(٢) سورة عبس ، آية ٣٣ - ٣٧ .

ومهما كنتَ عظيماً وخاتك التقوى فأنت لدى ميزان ربك
خالي الوفاض بادي الأفاض ، تستحق الطرد والإبعاد . ومهما
تفانيت في التمدح بالجاه والحسب ، والشرف والنسب ، فأنت في
الخصيصة ، ما لم تشرفك فضائلك ، وترفعك كرائمك ، ولقد وقف
معاوية يوماً على المنبر فقال :

« أيها الناس : إن الله فضّل قريشاً بثلاث ، فقال لنبيه صلى الله
عليه وسلم : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ^(١)) ونحن عشيرته
الأقربون ، وقال تعالى : (وَإِنَّهُ لَدِكُّكَ لَوْلَاكَ وَلِقَوْمِكَ ^(٢)) ، ونحن
قومه ، وقال عز وجل : (لَا يَلْفَاقُ قُرَيْشٌ إِلَّا فِئَمٌ ، رَحْلَةَ الشَّتَاءِ
وَالصَّيْفِ ^(٣)) ونحن قريش » !

قال معاوية ذلك مفتخراً مزهواً ، وظن أنه بلغ الغاية ، وأوفى
على النهاية ، وأخم السامعين ، ورد كيد الشامتين . وكسب بهذا
الكلام كلّ الأجداد والمفاخر له ولقومه .

ولكن رجلاً من الأنصار خبيراً بالحقائق ، عليماً بالجدال
والحوار ، قام من بين السامعين ، وقال له : على رسلك يا معاوية ،
فإن الله تعالى قال : « وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ^(٤) » وأنتم

(١) سورة الشعراء ، آية ٢١٤ .

(٢) سورة الزخرف ، آية ٤٤ .

(٣) سورة قريش ، آية ٢٠١ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٦٦ .

قومه . وقال عز من قائل : « وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ ^(١) » ، وأنتم قومه وقال : « وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ^(٢) » وأنتم قومه ، فضمه ثلاث ثلاث ، ولو زدت لزدناك ! . فلم يعرف معاوية جواباً ، فظل صامتاً صمت العاجزين ! . .

ومعنى هذا أنه يجب على الإنسان ألا يفخر بنسبه وأصله ، بل له أن يفخر بمجاهده وعمله :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوما على الآباء نتكل
بنبي كما كانت أوائنا تبني ، ونفعل مثلمنا فعلوا !

* * *

بل إن أهل البيت وأتباعهم مطالبون بأن يكونوا سباقين إلى الحماد والكارم ، يضاعفون القربات ، ويبالغون في المبادات ، حتى لقد روى عن زين العابدين رضى الله عنه أن رجلاً قال له : إنكم أهل بيت مغفور لكم ! . . فغضب زين العابدين ، وقال : نحن أخرى أن يجرى فينا ما أجرى الله تعالى في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أن نكون كما تقول ؛ إنا نرى لمحسنا ضعفين من الأجر ، ولمسيئتنا ضعفين .

ثم تلا قوله تعالى : « يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ

(١) سورة الزخرف ، آية ٥٧ .

(٢) سورة الفرقان ، آية ٣٠ .

مُيَنِّتَةً يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا .
وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ شَيْئًا فَهُوَ فِي عِلِّيِّينَ وَرَسُولِهِ اللَّهُ وَتَعْمَلُ صَالِحًا نُورًا أَجْرَهَا
مَرَّتَيْنِ ، وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ^(١) » ! .

فتى يتخلص الناس إذن من هذه الآفات العقيدية والمظاهر
الوثنية ، ومتى يخلصون الدين لله وحده ؟ ومتى يفرّدونه بالعبادة
والدعاء ؟ ومتى يحفظون من غلوهم في تفضيل الأمكنة ، وتقديس
الأضرحة ، والاتكال على الأموات ؟ ...

ألا إن مهمة الإسلام هي حطم الأصنام ، ونشر لواء التوحيد
في كل مكان . ولذلك حارب الإسلام كل لون من ألوان الإشراك ،
وكل صورة من صور الوثنية ، وكل حال من أحوال الانصراف
والاعتماد على غير الله : « وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ حُنَفَاءَ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَمَةِ ، إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ^(٢) » ، « قُلْ
إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ
لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ^(٣) » ، « إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ
لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٤) » ،

(٢) سورة البقرة ، آية ١٧٥ .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٠ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٧٩ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ١٦٢ ، ١٦٣ .

« ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَوْ أَشْرَكُوا
لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١) » ، « وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ^(٢) » ١ .



إن هؤلاء الناس مثلاً يحتفلون كل عام بمولد الطاهرة المطهرة
التقية النقية ، السيدة زينب رضى الله تعالى عنها وأرضاها ، وأنزلها
منازل الأبرار والأخيار ، فهل عرفوا من السيدة زينب فى طهارتها
وسموها وعلاها ؟ . وهل عرفوا من هى فى شجاعتها وحرصها على
الحق ودفاعها عن حوزته ؟ . وهل قرءوا تاريخها ، واستمعروا
مواقفها ؟ . وهل تبصروا وتدبروا فى صفاتها وأخلاقتها ؟ . وهل
حاولوا التشبه بها فى جلالها وكآلها ؟ . وهل راعوا حرمتها ، وحرمة
جدها الأعظم صلى الله عليه وسلم يوم احتفلوا بذكرها ، فتجنبوا
ما يسيئها ويؤلمها من القبايح والدنيات ، وآتوا ما يرضيها ويُرضى
ربها من الصالحات والقربات ؟ ..

سبحانك اللهم وغفرانك ، ومعذرة إليك يا رسول الله ثم
معذرة ، فأأكثر ما يرتكبه بعض الناس من السيئات . وينسبونه
زوراً وبهتاناً إلى محبتك ومحبة أهلك ، وأنت لا ترضى عن كثير
مما يعملون ، ولا يرضى عنه أحد من أهلك ، فأنت الذى تقول :
« سحقاً سحقاً لمن غير بدى » ١ . وقد أذهب الله الرجس عن
أسرتك وذرتك ، وطهرهم تطهيرا ١ .

(١) سورة الاحقاف آية ٨٨ . (٢) سورة الأنعام ، آية ١٢٢ .

من هي السيدة زينب؟

أيها الناس! ...

اعلموا إن كنتم لا تعلمون أنها زينب بنت أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، ورضى الله عنه ، أول من أسلم من الفتيان ، ومحق الكفر والبهتان ، وناصر اليقين والإيمان ، بالسيف والسنان ، والقلب والبيان ، والذي أحبه الله ورسوله ، وأحب الله ورسوله ، والذي كان من النبي بمنزلة هارون من موسى ، وإن لم تكن هناك نبوة بعد محمد! ...

وأما فاطمة البتول الزهراء^(١) بنت رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، وأحب الناس إلى رسول الله ، وأفضل نساء الدنيا ، وسيدة نساء الجنة في الآخرة ، والتي قال فيها رسول الله : « فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني » .

وجدها هو أفضل المرسلين ، وسيد النبيين ، وخير العالمين على الإطلاق .

(١) الزهراء : المرأة المشرقة الوجه ، والبتول : المقطعة عن الرجال ، ومريم المفضلة رضى الله عنها كالليل ، وفاطمة بنت سيد المرسلين عليها الصلاة والسلام ، لا تقطعا من نساء زمانها ونساء الأمة فضلا ودينا وحسبا ، والمقطعة عن الدنيا إلى الله تعالى . وتبذل لله الله وتبذل : اتطهر وأخلص ، أو نرك للكنكاح وزهد فيه . « القاموس المحيط » .

وشقيقاها الحسن منقذ الأمة من الفرقة ، والحسين سبط
الرسول وأبو الشهداء ، وسيد شباب أهل الجنة عليه السلام .
وقد وُلدت زينب رضي الله عنها وأرضاها في شعبان من السنة
الخامسة للهجرة ، بعد ميلاد أخيها سبط الرسول وحبيبه الحسين
بستينين ، وشهدت من حياة الرسول خمس سنوات ، فشملها بمجالل
النبوّة ، ونور الحكمة ، وأرضعها لبان الإسلام ، وغذاها بأَكف
الحق ..

وورثت عن أبيها البطل المغوار وسيف الله الغالب صفةَ
الشجاعة والإقدام ، والفصاحة والبلاغة ، حتى لقد روى الجاحظ عن
خزيمة الأسدي أنه قال : دخلت الكوفة بعد مقتل الحسين ،
فرايت زينب بنت علي ، فلم أر والله خفرة أنطق منها ، كأنما تنزع
عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ! .

ثم ساق لها كلاماً استشهد به على ما قال ، وقد يربك هذا
الكلام فيما يُستقبل من هذا البحث عند الحديث عن مواقفها مع
يزيد وشيعته .

وورثت عن أمها فاطمة الزهراء العفافَ والتقى ، والطهارة
والهدى ، وورثت عن شقيقها الحسين حبّ التضحية ، والفناء في
سبيل العقيدة والبدأ ، والحرص على الاستشهاد وصدق الجهاد :
« ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » ^(١) ! ..

(١) سورة آل عمران ، آية ٣٤ .

وكيف لا تكون كذلك وهي من تلك المشيرة الفريدة
الطاهرة التي يقول فيها الفرزدق :

من معشر جُثم فرضٌ ، وبفضُّهم
كفر ، وقربهم منجي ومعتصم
لا ينقص السر بسطا من أكفهم
سيان ذلك ، إن أثروا ، وإن عدموا
يأبى لهم أن يحل النعم ساحتهم
خِثْمٌ كريم ، وأيدٍ بالندى دِيمٌ^(١)
يُستفَعُ السوء والبلوى بحجهم
ويُستزاد به الإحسان والنعم
مقدَّم بعد ذكر الله ذكرهم
في كل بدء ، ومختوم به الكلم
إن عُدَّ أهلُ التي كانوا أُنعمهم
أوقيل : من خيرُ أهل الأرض ؟ قيل : هم !
لا يستطيع جواد بُعدَ غايتهم
ولا يدانئهم قومٌ وإن كرموا
هم النيوث إذا ما أزيمة أزمَت
والأسدُ أسدُ الشَّرى^(٢) ، والبأس محتدم

(١) الخيم : الطبع . وديم : جمع ديمة ، وهي السحابة المثلثة بالمر ، يشبه أيديهم بها .

(٢) الشرى : طريق كثيرة الأسود ، وشفة بنهامة كثيرة البعاج . (القاموس) .

وكيف لا تكون كذلك وهي فرع من عترة الرسول
وسلالته التي يقول فيها الآخر :

مطهرون ثقيات جوبهم
تجري الصلاة عليهم أينما ذُكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه
فأله في قديم الدهر مفتخر
الله لما برا خلقا فأنتقنه
صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملاء الأعلى ، وعندكم
علم الكتاب وما جاءت به السور

زواجه

ولما نما عودها أفضل نماء ، وزكا نباتها الطيب في روضة النبوة ودوحة الرسالة ، وجملها ربها بدنًا وروحًا ، وطبعًا وخلقًا ، تزوجت من ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن جعفر هذا هو الصحابي الجليل ، والمسلم السابق إلى المكرمات ، الذي وُلد بأرض الحبشة حين الهجرة الأولى ، وهو أول مولود وُلد بها في الإسلام ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره عشر سنوات ، وكان مضرب المثل في الجود والحلم والكرم ، وعمر ما يقرب من تسعين عاما .

ولما مات سنة ثمانين للهجرة بالمدينة حضر جنازته أبان بن عثمان أمير عبد الملك بن مروان على المدينة المنورة ، فحضر غسله وتكفينه ، وما فارقه حتى دفنه في « البقيع » ، وإن دموعه لتسيل على خديه ، وهو يقول : كنت والله خيرًا لا شريك ، وكنت والله شريفًا واصلاً برآء ! ..

وجعفر هو أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب الطيار^(١) في الجنة ،

(١) لقب بالطيار لما روى عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت الجنة البارحة » فرأيت جعفرًا يجير مع اللائكة ، وجناحاه مفرجان بالهم .

ذو المهجرتين ، وذو الجناحين ، وأبو المساكين ، والذي قال له رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أشبهت خلقي وخلُقي^(١) » ، والذي قال فيه أبو هريرة : « ما احتني النعال ، ولا ركب المطايا ، ولا ركب الكُور (الرَّحْل) بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب » ؛ والذي استشهد خير استشهد في غزوة « مؤتة » من أرض الشام ، في جمادى سنة ثمان من الهجرة ، بعد أن حمل اللواء ، فقطعت يده ، فأبدله الله جناحين ، يطير بهما في الجنة .

ولقد روي أنه خرج إلى الجهاد على فرس له شقراء ، ثم اشتد القتال ، وحى الوطيس ، فمقر فرسه ، وقَاتِل حتى قُتل وهو ينشد :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبةً وباردُ شرابها
والرُوم روم قد دنا عذابها على إن لاقيتها هُزْرابها

ولقد التمسوه بعد استشهاده فوجدوا في جسمه بضعا وسبعين طعنة ورمية ! .. ولما بلغ نعيه إلى رسول الله عليه صلوات الله وسلامه رؤى الحزن في وجهه ، وذرفت عيناه الدموع ، ودخل على امرأته أسماء بنت عميس فزاعها فيه ، وقال عنه النبي لابنه عبد الله مواسياً وخففاً : « هنيئاً لك ، أبوك يطير مع الملائكة في السماء » !

(١) قال المراق : « هذا القتل لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ، ولكن الحسن أيضاً كان يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ، كما هو متفق عليه من حديث أبي جعفر . ولترمذى وصححه ، وابن حبان من حديث أنس : « لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن » .

وقال عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « ما وطئ التراب أحد
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر » !! . .
تزوجت السيدة زينب من ابن عمها هذا فكانت مع زوجها
أكل سيدة ضمتها أمتاً دار ، وكان لها منه أولاد ذكور وإناث ،
ملأوا الدنيا نوراً وفضلاً ، بنسبهم وذريتهم وأعتابهم ، وهؤلاء
الأولاد هم : علي ، ومحمد ، وعباس ، وعون وأم كلثوم ، وأم عبد الله .
وبعضهم مات في أول حياته ، وبعضهم عُمر وأنجب .

صفاتها

كانت رضى الله عنها وأرضاها محمودّة من كل ناحية ، مذكورة في كل باب من أبواب المديح والثناء ، يُضرب بها المثل في كثير من صفات العقائل المخدّرات ، والسيدات الشهيرات في التاريخ . فلها من جمالها أكبر نصيب ، حتى لقد وُصفت بأن لها وجهاً كأنه شقة قر ، ولها من جودها وكرمها ، وعلمها وفضلها ، وجرأتها وإقدامها ، وتضحيتها وبذلها ، وبلاغتها وتأثيرها ، وأدبها وفكرها ؛ لها من كل هذا لسانٌ صدق يرفعها إلى قبة المجد حين تتسابق الأتراب ، وتتفاضل خرائد البيوتات ! ...

وكانت رضى الله عنها محدّثةً قارئةً ، حدثت عن أمها فاطمة بضعة رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، وعن أسماء بنت عميس ، وروى عنها محمد بن عمرو ، وعطاء بن السائب ، وفاطمة بنت أخيها الحسين بن علي ، وكانت أديبةً شاعرةً ، استفادت من نشأتها — في ذلك البيت العربي الهاشمي الأصيل في عروته وملكاته — الكثير من ذكاء الجنان ، وروعة البيان ، وذلاقة اللسان ، ويروى لها من الأشعار قولها :

سهرت أعينُ ، ونامت عيونُ لأمور تكون أو لا تكونُ
إن ربّاً كفاك ما كان بالأمـ س سيكفيك في غدٍ ما يكون
فادراً الهمَّ ما استطعت عن النف س فخلانك^(١) الممومَ جنون!

(١) خلانك : يسي خلانك .

جِهَادُهَا مَعَ الْحَسَنِ

ولما بدأ شقيقها الحسين عليه السلام في جهاده ضد الناصبين الظالمين كانت هي في هذه المعركة الناعية المحركة للهمم ، الباعث للعزائم ، وكان لها شأن كبير في قضيته ، إذ شاركته في رحلته ، وقاسمته جهاده ، فكانت تستثير بلسانها حمية الأبطال ، وتدبر يميناتها ضيافة الرجال ، وتقضى يسراها حوائج الأطفال ، وتقوم على حراسة الرِّحال ، وتُسعف الجرحى ، وتعرض المرضى ، وتطمع الجوعى ، وتحرض المقاتلين ، وتشجع المستضعفين ، وتثبت فرائص المجاهدين ، غير مبالية بالجوع والحصار ، أو العطش ومرارة الانتظار ، أو الموت أو الوقوع في الأسار :

ولو كان النساء كمثل هذى لفضّلت النساء على الرجال

ولا تظن من ذلك أن السيدة زينب كانت قاسية غليظة ، لا يعرف قلبها اللين والرحمة ، حاشاها أن تكون كذلك وهي بنت أكرم الناس ، وسلالة الرفق والمرحمة ، بل كانت تضع كل شيء في موضعه ، فتجد في موضع الجد ، وتبذل غاية ما تستطيع ، فإذا استحكمت الحلقات ، وسُدَّت السبل ، وبلغ السيل الزبي ، وحُم القضاء الأليم ، وأناخ النهر بكل كلكه ، رأيتها وقد نبض قواؤها

بماطقة الإشفاق والأسى ، واستجابت لنوازع النفس البشرية التي لا تُقهر ولا تقالب .

وحسبك دليلا على ذلك أن تستعرض لها الموقفَ التالي ، الذي حدث حينما أُحيط بالحسين قُبيل موقعة « كربلاء » ، وفيه أحست زينب بأن أختها مقتول بعد قليل ، فخرت من أجله ، وجزعت له ، وها هو ذا أمامك تتأمله وتدبره .

قال علي بن الحسين :

إني والله لجالس مع أبي الحسين عشيةَ مقتله ، وأنا عليل ، وهو يعالجُ رُسَّالَه ، وبين يديه « جَوْن » مولى أبي ذر ، فسمعتَه يرتجز في خبائه ويقول :

يا دهرُ أفَّ لك من خليلٍ كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب أو صاحب قتيلٍ والدمع لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل وكلُّ حَيٍّ سالكٌ سبيلُ !!

قال علي : أما أنا فسمعتُه ورددت عَبرتي ، وأما زينب عمتي فسمعتُه دون النساء ، فلزمتها الرقة والجزع ، فخرجت حائرة تنادى : وائكلاه ! . واحزنناه ! . ليت الموت أعنمني الحياة ، يا حُسيناه ! . يا سيداه ! . يا حبيباه ! . يا بقيةَ الماضين وثِمَال^(١) الباقيين ، بثست الحياةَ اليوم ، اليوم مات جدى وأُمى وأبى وأخى ،

(١) الثَمال : القباث .

اليوم مات جدى المصطفى ، وأبي فاطمة ، وعلى أبي ، والحسن أخى .
 فسمعها الحسين ، فتأثر وقال لها : يا أختاه ، لا ينهبن بحلمك
 الشيطان ، والله يا أختاه لو ترك القطا^(١) لنام ! فقالت : ما أطول
 حزنى ، وما أشجى قلبى ! ... بأبى أنت وأمى ، استقلت نفسك ؛
 تقسى لنفسك الفداء ! .. فردد غصته وترقرقت عيناه ثم قال :
 لو ترك القطا لنام .. فقالت : واويلتاه ، أقتضبك قسك اغتصبا ؟
 فذلك أفرح^(٢) لقلبي ، وأشد على نفسى ، وأطول لحزنى ..

ثم خرت مشياً عليها ، فقام إليها الحسين رضى الله عنه ، فصبَّ
 على وجهها الماء حتى أفاقت ، وقال : اتقى الله يا أختاه واصبرى ،
 وتمزى بعزاء الله ، واعلمى أن أهل الأرض يموتون ، وأهل السماء
 لا ييتون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله ، فلا يبق إلا وجهه
 سبحانه ، الذى خلق الخلق بقدرته ، ويُميتهم بقهره وعزته ، ويعيدهم
 فيمبدونه وحده ، وقد مات جدى وأبى وأمى وأخى ، وجدى
 خير منى ، وأبى خير منى ، وأمى خير منى ، وأخى خير منى ، كلهم
 خير منى ، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة^(٣) ، فلا ينهبن
 بحلمك الشيطان .

وهنا أيقنت السيدة زينب أن شقيقها قرعة عينها وبقيّة دوحها

(١) القطا : نوع من الحمام .

(٢) أشد جرحاً وإيلاماً .

(٣) أسوة : قصوة .

وفؤابة أسرتها مُصِرٌّ على الاستشهاد بعد قليل ، وعلمت أنه مقتول
لا محالة ، فودت لو تقتديه بنفسها ، وناشدته ذلك في رجاء وضراعة
خوفا منها عليه ، وجبا منها له ، فأخذ يذكرها بما أعدّه الله
للمجاهدين من ثواب عظيم ، ونعيم مقيم ، ثم قال لها : يا أخية ..
إني أقسم عليك ، لا تشقى على جيبا ، ولا تخمشى وجها ، ولا تدعى
على بالويل والثبور إن أنا هلكت ..



ثم خرج الحسين إلى أصحابه فأمرهم بالتهيؤ للقتال ، ونصحهم
بأن يقربوا بعض بيوتهم من بعض ، وأن يدخلوا الأطناب بعضها
في بعض ، ويكونوا بين يدي البيوت ليستقبلوا أعداءهم من وجه
واحد ، والبيوت عن أيما نهم وشمائلهم ومن ورائهم .

ثم أخذ مكان العبادة فقام الليل كله يصلى ويستغفر ، وأهله
وأصحابه يقتدون به ، وأعداؤهم تلمظ شفاههم الأثيمة شوقاً إلى
دمائهم الطاهرة .

ولما التقى الجمعان من الغد تكرر الأنذار على الحسين بن علي
ريحانة رسول الله وسبطه ، والذي قال فيه : « حسين مني ، وأنا
من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من
الأسباط ^(١) » . فقتلوا جماعة من أصحابه وعشيرته وهو جلد صبور ،

(١) في القاموس : « حسين سبط من الأسباط : أمة من الأمم » ، لأن السبط مناه
الجماعة والقبيلة ، ولعل معنى الحديث أن الحسين في الرقة والمكانة كمكانة أمة ، أو أن
له من الأجر والثواب كالأجر أمة لعظيم فضله وعمله .

لا يفر بل يُقدم ، وتلقى الطعنات من هنا ومن هناك ، ولما حى
وطيس القتال ، واشتد بالحسين الحال ، خرجت السيدة زينب من
خبائها وهي تهتف : ليت السماء انطبقت على الأرض ! ..

وقد دنا منها عمر بن سعد بن أبي وقاص فقالت له : يا عمر ،
أَيُّ قَتْلٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (الحسين) وَأَنْتَ تَنْظُرُ؟ . فلممت عيناه حتى
سالت دموعه على خديه ولحيته ، وصرف وجهه عنها ، وأخوها
الحسين يصارع الأنفال مصارعة الأبطال ، وهو يهتف : أَعْلَى قَتْلِي
تَجْتَمِعُونَ؟ ... وإيم الله إني لأرجو أن يكرمنى الله بهوانكم ،
ثم ينتقم لى منكم من حيث لا تشعرون .

شجاعتها وصبرها

ثم وقعت الواقعة التي اهتزت لهولها أرجاء السموات والأرض ، وبكى لها الجاد والحيوان والإنسان ، واكفهرت لها السماء ، ورجفت الغبراء ، فصعدت روح الحسين الشهيد إلى الملاء الأعلى تحفها ملائكة الرحمن ، وأنوار الإيمان ، وأضواء الشهادة ، تشكو إلى خالقها طغيان الفساد بين العباد ، فاهنت السيدة زينب ولا استكانت ، بل صبرت وصابرت ، وعزمت وأقدمت ، وجاهدت في سبيل الله جهادَ الصادقين ، وادخرت أخاها عند ملك مقتدر ، وتذكرت قول الحق تبارك وتعالى : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ » وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون ^(١) . وقوله : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ،

(١) سورة البقرة ، آية ١٥٥ - ١٥٧ .

أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) .

ويروى أن السيدة زينب أظهرت في معركة « كربلاء » شجاعة فائقة ، وحماسة نادرة ، فهي فوق ما سبق من جهودها وأعمالها تذكر لها مواقف صدق تدل على مبلغ ما تؤديه المرأة المؤمنة الموقنة من جهاد ونضال ، فقد هجم على خباثتها مجرم أثيم من الباغين الظالمين ، الذين أسرفوا في عداوتهم وانتقامهم ، وحرصوا على ملكهم ودينام ، وكان يسمى « شمر بن ذى الجوشن » ، يريد قتل الإمام على زين العابدين ، بعد أن قتل أبوه الحسين ، ويقال إنه هو نفسه الذى قتله ؛ فصرخت السيدة في وجهه صرخة الليث الهصور ، وقالت : والله والله لا يقتل حتى أقتل قبله !... فألقى الله الرعب في قلب ذلك المفتون ، وصرفه عن قتل زين العابدين .

وجاء عمر بن سعد ، فحمل السيدة زينب مع إختوها وأبناء الحسين ، وارتحل بهم إلى الكوفة ، فر بهم على « الحسين » وأصحابه ، وهم قتل في « كربلاء » ، فصاحت النساء ، وصاحت زينب أختها : يا محمداه ، صلت عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالمرء ، مزمّل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ، يا محمد ، هذه بناتك سبايا ، وذريتك

١١ سورة آل عمران ، آية ١٦٩ - ١٧١ .

مقتلة ، تسقى عليها الصبا^(١) ! فأبكت كلَّ عدو
وصديق !! ..

ولما أدخلوها مع أسرتها على « عيد الله بن زياد » والى « يزيد
ابن معاوية » على الكوفة ، لبست زينب أردل ثيابها متكررة ،
وحقت بها إماؤها^(٢) ، فقال عيد الله : مَنْ هذه التى انحازت
جلست ناحية ، وممها نساؤها ؟ فلم تجب بشئ ، وكرر ذلك
ثلاثا ، وهى لا تنطق ينث شقة إباء وتحلما ، فقالت بعض إمائها :
هذه زينب بنت فاطمة وعلى وبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ...
فقال لها ابن زياد : الحمد لله الذى فضحك ، وقتلكم ، وأكذب
أعدوكم ! ..

فقالت زينب : الحمد لله الذى أكرمنا بنبى محمد صلى الله عليه
وسلم ، وطهرنا من الرجس تطهيرا ، وإنما يفضح الفاسق ، ويكذب
الفاجر ، وهو غيرنا والحمد لله ...

فقال : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ . قالت : كتب
الله عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم
فتخصمون عنده ! . فغضب ابن زياد لهذا التبكيت الموجه الأليم
والتمريض المقذع البليغ ، الذى يهد الصخر ويفت القولاذ . فقال :

(١) مزمل : ملقوف . سبايا : قد أسره من العدو . تسقى عليها الصبا : تحمل الريح
التراب إليها فتكسوها به .
(٢) إماؤها : جواربها .

قد شفى الله نفسى من طاعتك ، والعصاة المردة من أهل
بيتك ! ...

فذكرت السيدة زينب حينئذ تلك الصفوة المتقاة المختارة
من أهلها الغر الميامين ، الذين سقطوا فى ميدان الجهاد ، بطلا
بعد بطل ، وصنديدا فى إثر صنديد ، ورأت كيف اخترم الموت
عزتها وكنيتها ، وشنت فى أنحاء الأرض أسرتها ، فأدركتها
لوعة الأسى ، وحرقة الأسف . فبكت وقالت : لعمرى ، لقد
قلت : كهلى ، وأبرت^(١) أهلى ، وقطعت فرعى ، واجتثت^(٢)
أصلى ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت ! ..

قال المخنول بن زياد . هذه سجاعة لعمرى ، ولقد كان أبوها
سجاعاً شاعراً ! . فقالت : ما للمرأة والسجع ؟ إن لى عن السجع
لشغلا ! ! !

ألا ما ألام هذه الحياة وما أخسها ، وما أدنا هذه النفوس
وما أخطها ، وهذا النهر المجيب دوار بكل داهية على الأحرار ،
سباق بكل قاصمة إلى الأبرار :

إن كان عندك يازمان بقية مما يضام به الكرام فهاها



ولكن صبراً صبراً ، فإن الباطل لا يصول إلا فى غفوة أهل

(١) أى أملكك .

(٢) أى قطعه واستأسله .

الحق ، ولا يحسبن الباطل حين يستعلى ويتجبر أن رقاد أهل الحق سيطول ، وإن ساعة العدل على الظالم لأشد من ساعة الجور على المظلوم ، وإذا كانت سنة الحكيم العليم قد اقتضت أن يغنى بعض السفهاء أو الوقهاء في هذه الدنيا فيأكلوا ويشربوا ، ويبنوا ويطنوا ، فما أقصر ظل هذه الحياة ، وما أقرب أمدها ، وما أهون شأنها عند بارئها ، فلو كانت تساوى عنده كما روت الآثار جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة ماء .

ومن خلف هذه الدنيا حياة طويلة خالدة ، هي الحياة الحقّة الصحيحة كما يقول التنزيل : « وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ^(١) » . وكم من عتل جبار بغى في الأرض ، وعاث فيها فساداً ، وأهلك الحرث والنسل ، حتي خُيل إليه أنه من الخالدين ، ثم جاءتة سكرة الموت ، فأغنى عنه ماله ولا ولده ولا سلطانه ولا أعوانه شيئاً ، بل استحال إلى جيفة أُلقيت في حفرة ملؤها التراب والنود ، وذلك بعد الدور والقصور ، والمباهاة بدار النور :

باتوا علي قُلل الأجيال تحرّسهم	غُلب الرجال فما أغتتهم القُللُ
واستزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم	فأودعوا حُفراً ، يابئسما نزلوا
نادام صارخٌ من بعد ما قبروا	أين الأسرة والتيجان والحلل ؟

(١) الحيوان أى الحياة الكاملة الخالدة . سورة النكبت ، آية ٦٤ .

أَيْنَ الوجوه التي كانت منعمة
 من دونها تضرب الأستار والكال
 فأفصح القبر عنهم حين سألهم :
 تلك الوجوه عليها الدود يقتل
 قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا
 فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

يحدث مثل هذا للفقرين الباغين ، بينما يسقط فقير مؤمن ،
 مستشهدا في سبيل الله ، معقرا بتراب المعركة الحمراء في سبيل
 المقيدة واليقين ، فتلقيهم الملائكة ، وترفعه أجنحتها ، وتظله
 أطرافها ، ويهتز له عرش الرحمن ، ويقال له : لقد نجوت من دار
 الفجور والفناء ، فتمال إلى دار النعم والبقاء : « أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ
 زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا
 وَخَيْرٌ أَمَلًا ^(١) » .

(١) سورة الكهف ، آية ٤٦ .

فداؤها لذريرة أخيها

وزينب ترى — وقد سقط شقيقها مضرجا بدماء الشهادة في ساحة البطولة — أن تكرمه في شخص ذرته ، وأن تضحي بحياتها في سبيل أولاده ، وأن تعرض نفسها لطعنات السيوف ، لكي تنقذ هؤلاء الصغار من ذل الإسمار ، أو وثبة الانتقام ، دون أن تنال هذه الأحداث من صبرها أو ثباتها ، فكأن المحن لم تزدها إلا إيماناً ، وكأن الابتلاء لم يزدها إلا يقيناً .

لقد أطلق ابن زياد بصره فيمن معها من ذرية الحسين وحفدة الرسول ، فأبصر على بن الحسين ، فقال له : من أنت ؟ . فقال : على ابن الحسين .

فقال ابن زياد : أولم يقتل الله على بن الحسين ؟ . فقال : كان لي أخ يسمى « عليا » قتله الناس . فقال ابن زياد : إن الله قتله . فقال علي : إن الله يتوفى الأتقى حين موتها ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله .

فغضب ابن زياد وقال : وبك جرأة على جوابي ؟ .. ثم قال : إني لأظنه قد أدرك (أي وصل سن البلوغ) فاذهبوا به واضربوا عنقه .

فتملقت به زينب عمته ، وقالت ، يا ابن زياد ، حسبك منا ؛
 أما شيعت من دماثنا ؟ . ثم اعتنقت زينب ابن أخيها وصاحت :
 والله لا أفارقه ، فإن قتلته فاقتلني معه ! ... ولما رأى ابن زياد ذلك منها
 تركه ، وقال : دعوه لما به !! ...

هكذا تأبى الأقدار العالية لحكمها السامية التي قد ندرىها وقد
 لا ندرىها أن يتحكم الأخساء المحقرات حيناً في الأبطال النبلاء ، ويطو
 الوضع الرقيق على أصحاب الحسب الرفيع والعزم الجميع !! .. ألا إنها
 عظة العزيز الجبار ، يريد أن يعلم أهل الدعوات والمبادئ أن الثمن
 يُدفع اليوم تشريداً واضطهاداً ، واختباراً وجزاء ، وأن التجارة
 الراجحة ستعطى لهم في مقابل ما قلموا .

« يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ »
 « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ
 الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ
 حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِوَعْدِهِ مِنَ اللَّهِ
 فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ » (١) .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « أنا النذير ، والموت للمغير ،
 والساعة الموعد » . . .

(١) سورة التوبة ، آية ١١١ .

بِالْغَتَمَا

وها هي ذى رضوان الله عليها تبكى أخاها أحر البكاء ،
وتبكت الذين فرطوا في دمه ، وتقرع الذين ضحوا به ، ولو ثوا
أيديهم ، وسودوا صحاقهم ، واستوجبوا عقاب ربهم بقتله ، تفرعهم
تقرعاً شديداً فتقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم :
ماذا فطمت وأنتم آخر الأمم
بسترتي^(١) ، وبأهلي بمد مفتقدى
منهم أسارى ومنهم خُصِّبوا بدم !!

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تَخْلُقُونِي بِسُوءِ فِي ذِي رَحْمِي !!
ضيعتم حَقًّا ، فالله ضيعكم

وقد رعى (الفيل) حق البيت والحرم

وها هي ذى تقف بين أهل الكوفة الناكثين الغادرين ، الذين
تقصوا الميثاق ، وخانوا العهد ، وخاسوا بالثمة ، وغرروا بالحسين

(١) عرتي : أهل وذري وأقربائي .

فدَعَوْهُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ خَذَلُوهُ وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَضَمِعُوا دَمَهُ
بِحَبْنِهِمْ وَتَرَدَّدَهُمْ ، ثُمَّ عَادُوا بَعْدَ مَقْتَلِهِ لِيَكُونَ عَلَيْهِ ، وَتَحْسِرُونَ لِفَقْدِهِ ،
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَقْتَرِفُوا الْإِثْمَ بِأَيْدِيهِمْ ، وَلَمْ يَزْهَقُوا رُوحَ الْبَطْلِ الشَّهِيدِ
بِفَرِيضَتِهِمْ وَقَاعَتِهِمْ ! .

هَامِي ذِي تَقَفٍ يَنْتَهَمُ وَهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِالْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ وَالْأَسْفِ
عَلَى الْحُسَيْنِ شَقِيقِهَا ، فَلَا تَنْخَدِعُ بِدُمُوعِ الْمَسِيحِ تَسِيلِ مِنْهُمْ ،
وَلَا يَنْطَلِ عَلَيْهَا زُورُهُمْ وَبَهْتَانُهُمْ ، بَلْ تَقْجُؤُكُمْ بِصَوْتِ الْحَقِّ ، وَتَصْدَعُهُمْ
بِنُطْقِ الصِّدْقِ ، وَتَقْفَهُمْ عَلَى ذَاتِ قُفُوسِهِمُ الْخَيْثَةِ ، وَخَيْثَةِ قُلُوبِهِمْ
الْحُسَيْسَةِ ، دُونَ أَنْ تَخَافَ جُوعَهُمْ ، أَوْ تَرْهَبَ صَوْلَتَهُمْ وَاعْتِدَاءَهُمْ ،
فَتُخَطِّبُهُمْ فِي جَرَأَةٍ وَشَجَاعَةٍ مَبْكُتَةٍ مُؤَدِّبَةٍ ، مَقُومَةٍ مَهْذَبَةٍ ، سَابِغَةٍ
لَاغَةٍ ، فَتَقُولُ لَهُمْ :

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ؟ ..

أَتَبْكُونَ ؟ ! ..

فَلَا سَكَنَتِ الْعَبْرَةَ ، وَلَا هَدَأَتِ الرِّتَةَ ! ..

إِنَّمَا مِثْلُكُمْ مِثْلُ الَّتِي قَضَضْتَ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَائِهَا ، تَخْضَنُونَ
أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ ، أَلَا سَاءَ مَا تَرْرُونَ ! ..

إِىِ وَآلِهِ ، فَابْكُوا كَثِيرًا ، وَاضْحِكُوا قَلِيلًا ، فَقَدْ ذَهَبَتْ بِمَارِهَا
وَشَنَارِهَا ، فَلَنْ تَرَحُّضُوهَا ^(١) بِنَسْلِ أَبْدَانِ .

(١) لَنْ تَرَحُّضُوهَا : لَنْ تَغْلُوهَا أَوْ تَطْهَرُوهَا .

وكيف ترحضون قتلَ سبط خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ،
ومدار حجتكم ، وثمار محبتكم ، وهو سيد شباب أهل الجنة ؟ ...
لقد أتيتم بها خرقاء شوهاء ! ..
أتمجبون لو أمطرت السماء دماً ؟
ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم ، أن سَخِطَ الله عليكم ، وفي
العذاب أنتم خالدون ! ..
أتدرون أى كبد فريتم ^(١) ؟ وأى دم سفكتم ؟ وأى كريمة
أبرزتم ؟ .

« لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتتشق
الأرض ، وتخر الجبال هداً ^(٢) ! » .

يا محمداه ، هذا حسين بالعراء ، مزمل بالدماء ، مقطّع الأعضاء .
يا محمداه ! .. بناتك سبايا ، وذريتك قتلى ! ..
يا أهل الكوفة ! لعذابُ الآخرة أخزى وأنتم لا تبصرون ! .
كلا إن ربى وربكم بالمرصاد ^(٣) ! ..

(١) قُطِمَ .

(٢) سورة مريم ، آية ٨٩ و ٩٠ .

(٣) يروى أن النذل الذى ضرب الحسين فقتله — ويقال « إنه ستان بن أنس النخعي »
ويقال غيره — ذهب إلى ابن زياد مفتخراً فقال :

أوفر ركابي فضة وذعباً لى قتل الملك المحجّب
قتل خبر الناس أما وأباً وخبرهم إذ يكرون نبأ

فغضب ابن زياد وقال : إذا علمت ذلك فلم تقتله ؟ . والله لا تلت مني خيراً ، ولألفنك
به . . . ثم ضرب عنقه ! ..

ولم يمض قليل حتى نسك الله ببقية النئة الباغية ! .. عن الزهرى : لم يبق أحد ممن =

وكانت هذه البلاغة الفذة في الخطاب سبباً في أن يضح الناس
 بالبكاء والعميل ، ففرغوا من هول ما سمعوا ، وسقط في أيديهم ،
 ورأوا أنهم قد ضلوا ، وبلغ بهم الأسف مبلغه ، فسالت الموع ،
 ووجفت القلوب ، واقتشعت الأجساد ، واستبانت العقول
 ما أمامها من هول شديد وعذاب اليم في يوم الدين ، وما أدراك
 ما يوم الدين ؟ يوم لأعلك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله !!
 ومن كلامها الواعظ : من أراد أن يكون الخلق شفعاء إلى الله
 فليحمده ، ألم تسمع قولهم : سمع الله لمن حمده ؟ تخف الله لقدرته
 عليك ، واستح منه لقربه منك^(١)

== حضر قتل الحسين إلا عوف في الدنيا قبل الآخرة ، إما بالقتل ، أو سواد الوجه ، أو
 تغيير الخلقة ، أو زوال الملك في مدة يسيرة . .
 وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : جنبي دماء أهل هذا البيت (بيت النبي) ،
 فإنني رأيت في حرب (الأمويين) سلبوا ملكهم لا قتلوا الحسين .
 (١) وسير بك بعد قليل خطبة جليلة لها تضم إلى آياتها في ميدان البلاغة .

ترحيلها إلى الشام

وبعد ذلك أمر الطاغية ابن زياد بتجهيز الأسرى ، وفهم البتول زينب ، وترحيلهم إلى الشام مقر أميره يزيد بن معاوية ، فجهّزوا وحملوا على الأتّاب^(١) ، ولما بلغوا الشام بعد جهد جهيد وبلاء عنيد ، أخذت النساء ، وأدخن على نساء يزيد في خدورهن ، وفيهن بقيةُ حياء ، ولهن عمالة دين ، فمارأى نساء يزيد نساء محمد ، وفيهن زينب حتى خشن وخضن ، وهالهن هذا النور ، وذلك الجلال ، فجأت نسوةُ يزيد إليهن ، وسألتهن عما أخذنهن ، فضاغت لهن وهكذا خفف نساء يزيد جانباً من مأثم يزيد التي كانت .

ثم أمر يزيد بإيصالهن في دار مستقلة مجاورة لداره ، ورُوى أنه كانت معهن فتاة صغيرة للإمام الحسين بن علي تسمى « فاطمة » ، وعمرها ثلاث سنوات فحسب^(٢) ، وكانت تجهل موت أبيها ، لأن للقوم ستروا المأساة عنها ، كي لا يقضى عليها ، ولكنها طلبت رؤيته مرات ومرات فلم تجب ، وصعب عليها فراقه ، وأخيراً أحست بحقيقة الحال ، وكوشفت بالنبا الأليم ، قضاقت روحها على الأثر . . . وصعدت إلى بارئها تنطق بدعائها على أولئك الطغاة الأشرار ،

(١) الأتّاب : براذع الجاه .

(٢) حكفا جاءت الرواية ، ويستبد هذا معنى الأدب . . .

وتشهد عليهم بأنهم جاوروا فاستناروا، وأجحفوا فأنصفوا، وكانوا
 من الظالمين : « وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا
 يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، مُطْعِمِينَ مَقْنِي رُؤُوسِهِمْ ،
 لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ، وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ » (١) . . .

(١) سورة: براءه ، آية ٤٢ و ٤٣ .

أَمْسَلَهُ مِنْ شِجَاعَتِهَا وَبَلَاغَتِهَا

ومما يدل على شجاعة السيدة زينب رضي الله عنها ، وصادق اعتمادها على ربها ، وقلة مبالاتها بطواغيت الشر وفراغين السوء ، أنها وقتت بعد مقتل أخيها الحسين ، أمام يزيد بن معاوية — وهو الظافر المتصر ، وهو المستبد الأمر الناهي ، وهو الأمير الحاكم الباغى — في جرأة وثبات ، وعزيمة ورباطة جأش ، دون أن يدركها ما يدرك مثيلاتها من النساء في مواطن الهول والنزع ، والفتنة والجزع ، من الاضطراب والزلزلة ، أو الضعف والبليلة ، بل كانت هي هي ، مثال الاطمئنان والإيمان ، والثبات والاستقرار . .

وقفت مع أولاد الحسين أمام يزيد ، فقام رجل وقح من أهل الشام ، وطلب من يزيد أن يهب له فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما ، فأمسكت فاطمة بثياب عمتها زينب كالاستجيرة بها ، فقالت زينب لذلك الوقح في جرأة وعزيمة : كذبت ولؤمت ، ما ذلك لك ولا له .

ففضب من ذلك يزيد ، وخيّل إليه أن ملكه ينهار على لسان هذه المرأة ، فهي تمسك به وبسلطانه ، فقال : كذبت ، إن ذلك لي ، ولو شئت لفعلت ! . .

قالت : كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا ،
وتدين بغير ديننا .

فقال يزيد : كذبت يا عدوة الله .

فقال مبيكة مؤبسة : أنت أمير تشتم ظالماً ، وتظهر
بسلطانك ..

وهنا عاد إلى يزيد حياؤه ، وأدركته بقية من خجل فسكت !! ..



انظر كيف تجلت شجاعتها في موطن تنزل فيه الأقدام
الراسخة من كرام الرجال ، ثم انظر كيف استطاعت — حين رأت
اللؤم مستحوذاً ، والخسة مستحكمة — أن تحيي في موات يزيد
الباغى صُباة من خجل وحياء ، جعلته يرتدع عما هم به من عبث
بأعراض طاهرة ، وحرمان كريمة ، فأمكنها أن تحول بينه وبين
فعله التي هم أن يفعلها ؛ صدته بالحكمة وحسن السياسة بعد أن
رأت ألا مُكنة لها في دفعه عن ذلك بالقوة والسلاح ! .. وأني
لها وهي امرأة كسيرة مجردة من كل سلاح ، أمام متصر متجبر
شامت ؟! ...

ولا تظن أنها تابعت ملايتها في خطابه ، بل ها هي ذى قد
عادت إلى ثورتها المشهورة ، فجملت تذكره بآثامه وخطاياهم ، وتبذره
بمذاب الله ، في تفرع شديد ، وتأديب بليغ ، وفي عبارة تهوئك

روعة وقوة ، وتأسرك بلاغة وإيالة ، فكأنها أبوها « على » وقد
وقف يهدر هدير الفحل يلاغته الفلة بين جنده وأصحابه ، يفهم
إلى الجهاد ، أو يستحثهم على الاستشهاد ، ولا عجب ، فإن هذه
البضعة من ذلك الأصل ، وإن هذا النصن من تلك الشجرة ، ذرية
بعضها من بعض ، والله سميع عليم ، إنما يريد الله لينهب عنكم
الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً ...



انظر إليها وقد وقت أمام يزيد بلا فزع أو خوف ، عندما
وضوا رأس الحسين الشهيد بين يدي يزيد العنيد ، وبالغ يزيد في
التشفي والانتقام ، فجعل يلحرج الرأس الشريف بين يديه ،
ونكت ثنايا الحسين بمخصرته ، ويقول شامتاً متشفياً :

يا غراب البين أعممت ، قتل

إنما تذكر شيئاً قد قيل

ليت أشياخي يدر شهدوا

جزعَ المخرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً

ثم قالوا : يا يزيد تشل لا

فانبرت له السيدة زينب في قفة وإعان ، وثبات جنان ، وجعلت

تؤدبه وتؤنبه، وتردعه وترجعه، وتحجز جائبه، وتطمئن كبريائه،
وتلطم غروره بهذه اللطافات . قالت^(١) :

« صدق الله ورسوله يا يزيد! .. » ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
أَسَاءُوا السُّوءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ^(٢) »
أظننت — يا يزيد — أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض
وأكناف السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بناهواناً
على الله، وأن بك عليه كرامة؟! ..

وتوهمت أن هذا لعظيم خطرك، فشمخنت بأفئك، ونظرت
في عطفك جذلان فرحاً، حين رأيت الدنيا مستوسقة لك،
والأمور متسقة عليك، وقد أهملت ونُفِست! إن الله إن أهلك
فهو قوله: «وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ،
إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ^(٣)»! ..

أمن المدل — يابن الطلقاء — تخديرك بناتك وإمامك،
وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأسارى، قد
هتكت ستورهن، وأصحلت أصواتهن، مكتنبات، تجرى بهن
الأباعر، وتحذو بهن الأعادي من بلد إلى بلد، لا يراقبن ولا يؤوين،
يتشفوهن القريب والبعيد، ليس معهن قريب من رجالهن؟! ..

(١) سياق تفسير ما في هذه القطعة من غريب في آخرها .

(٢) سورة الروم آية ١٠ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٨ .

وكيف يُسبِطاً في بغضتنا من نظر إلينا بالشنق والشنآن .
والإحن والأضغان ؟! ..

أقول : « ليت أشياخي يدر شهدوا » غير متأثم
ولا مستعظم ، وأنت تنكت ثياباً أبى عبد الله بمخضرتك ؟! ..
ولم لاتكون كذلك وقد نكأت القرحة ، واستأصلت
الشأفة ، ياهرافك هذه الدماء الطاهرة : دماء نجوم الأرض من
آل عبد المطلب ؟! ..

ولتردن على الله وشيكا موردم ، وعند ذلك تود لو كنت أبكم
أعمى ، وأنت لم تقل : « .. لأهلوا واستهلوا فرحاً » .
اللهم خذ بحقنا ، وانتقم لنا ممن ظلمنا ! ..

أزيد ! .. والله ما فريت إلا في جلدك ، ولا حززت إلا في
لحمك ، وسترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم برغمك ، وتجلدن
عترته ولحمته من حوله في حظيرة القدس ، يوم يجمع الله شملهم
من السمث : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ،
بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ،
وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ ، وَأَنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ »^(١) .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٦٩ - ١٧١ .

وستعلم أنت ومن بؤاك ومكنك من رقاب المؤمنين ، إذا كان
الحَكَم ربنا ، والنخْصم جدنا ، وجوارحك شاهدة عليك ، فَيُسْ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ! ..

هنالك تعلم أينا شر مكاناً ، وأضعف جنداً ! ..
مع أننى - والله - ياعدو الله وابن عدوه أمتصنر قدرك ،
وأستعظم تقربك ، غير أن الميون عبرى ، والصلور حرى ،
وما يجزى ذلك ، أو يفتى عنا . وقد قتل أخى الحسين ؟ ..

ألا إن حزب الشيطان يقربنا إلى حزب السفهاء ، ليعطوهم
أموال الله عوناً على انتهاك محارم الله . فهذه الأيدى تنطف
من دمائنا ، وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث
الزواكى يعتامها عُسلان الفلوات .

فلئن اتخذتنا فى الحياة مغنماً ، لتجدتنا عليك مغرمًا ، حين لا تجد
إلا ما قدمت يداك .

تستصرخ بابن مرجانة ، ويستصرخ بك ، وتتعاوى وأتباعك
عند الميزان ، وقد وجدت أفضل زاد تزودت به قتل ذرية محمد
صلى الله عليه وسلم ! ! ! ..

فو الله ما اتقيتُ غير الله ، وما شكوتُ إلا الله ، فكذلك ،
واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فو الله لا يرحض عنك عازُ
ما أتيتُ أبداً ! ! ! ..

والحمد لله الذى ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان ،
 فأوجب لهم الجنة ، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات ، وأن يوجب
 لهم المزيد من فضله ، فإنه ولى قدير «^(١) ... !

هكذا تكون طلاقة اللسان ، وقوة البيان ، وثبات الجنان ،
 وهكذا ترسخ فى القلوب أركان الإيمان ، فتصدع بكلمة الحق
 حين لا يعرف حيمٌ حميا ! ..

ولقد حرصنا على أن ننقل هذه القطعة الطويلة الجليلة بأكملها ،
 لتكون خير برهان وأسطع شاهد على ما انطوت عليه نفس هذه السيدة
 الزكية من صفات السمو والنبيل ، والجرأة والشهامة ، والبلاغة
 والإفصاح ، وحسب القارئ أن يرجع إلى هذه القطعة الرائعة
 بعد أن يحيط علماً بمعانى مفرداتها وتراكيبها ، ولو بصورة

(١) أكتاف : جواب . وعطفك : جانبيك ، يمينك وشمالك . ومستوفة :
 مجتمعة مطيعة ، ويقال : استوفت الأمة على كذا أى اجتمعت واتفقت عليه . ومنفعة
 مستعدة مساعدة . وابن الطلقاء : إشارة للمقول الذى لكفاركة — ومنهم أباه يزيد —
 يوم الفتح : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، وإنه لتذكير وتبكيك ! .. وأحملت أصواتهن :
 الصعل بفتح الصاد والماء — كفى فى اللسان — انشاق الصوت ، وألا يكون مستغنيا
 يزيد مرة ويستقيم أخرى ، وأن يكون مه فى الصدر حشيرة . والأبهر : الجلال .
 وتحدو بين : تتقلعن . ويتشوقن : يتطلع اليهن قيرامن . والشق والشان : العاوة
 والغضاء . والإحن والأضنان : الأحقاد . وغير متأثم : غير خائف من الإثم . وتتك :
 تنفض وتلبذ وتضرب . وتنايا : أسنان . والمحصرة : قضيب كاللصا يمسك الخيل عند
 حديدته . وتكأت الفرحة : قهرت المرح فهاد مؤلة . واستأصلت التأفة : أهلكك كل
 شيء . ووشيكاً : قريباً . وعريت : قلعت . والشت : التفريق . وعترته : فريته . وتنفذ :
 تسيل . ويتمانها إعلان القلوب : تنقرسها ذئاب الصحراء . ولا يرضى : لا ينيل .

تقريبية ، ليرتوى منها ويسجب بها ، وقف أمامها وقفة المأخوذ بما فيها من سحر يأخذ بالآلالباب ١١ .



ويروى أن يزيد عند ما سمع بكاء السيدة زينب ورثاءها للحسين ، وحملتها عليه وعلى أتباعه ، تأثر واستدعى إليه على بن الحسين بن علي ، وهو الملقب بزین العابدین ، وقال له : يا علي ، لمن الله ابنَ مرجانة ، أما والله لو أني صاحبتُه ماسألني أبوك خصلةً أبداً إلا أعطيتُه إياها ، ولنفست عنه الحنفَ بكل ما استطعت ، ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن ماذا ينفع لو وليت ؟ ! وقد قضى الله ما رأيت ! .. ثم خير أهل البيت بين المقام في الشام أو الرحيل إلى المدينة فاختاروا المدينة ، فأمر يزيد النعمان بن بشير بأن يجهز لهم رحالهم ، وأن يخصص لهم من يحرسمهم في الطريق ، ففعل النعمان ما أمره به يزيد !! .

هذا ما يروى ، ولكن الذي يظهر أن يزيد قد ضاق ذرعاً بالسيدة زينب ، وخشى أن تؤلب عليه الجموع ، وتشعل نار الثورة ، فأراد التخلص منها مؤقتاً بترحيلها إلى خارج الكوفة .

ولقد كانت أمثال هذه الكلمات البالغة التأثيرة السائرة التي ترسلها زينب الموتورة كالحجم تقلى فتأتى على بهتان الطاغين ، أو تزول بنيانهم ، وترزعج كياناتهم ، سبباً في أن يأمر يزيد بن معاوية

بإخراج الزكية بنت الزكي السيدة زينب ومن معها من أقربائها وأهلها إلى المدينة ، فخرج الرسول ، وسار معهم عارفاً لهم كرامتهم وحرمتهم ، ذاكراً أن فيهم جماعاً كريماً من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبناته ، وأنهم أحق من على الأرض بالإجلال والإكرام ، والإكبار والاحترام : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزَدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ »^(١) .

فكان هذا الرجل الرسول يعيش من خلفهم ، ويسيرهم ليلاً فيكونون أمامه ، لا يغيبون عنه ، ولا يفوتهم طرفه ، فإذا نزلوا للبيتوتة تنحى عنهم هو وأصحابه ، فلم يكونوا عليهم رقباء أو رؤساء ، بل كانوا لهم كهنة حراس ، وكان هذا الرسول المؤمن يسألهم عن حاجتهم فيقضيها لهم ، وكان يلطف في خطابهم ومعاملتهم ، لأنه كان مؤمناً صادق الحب لله ولرسوله وآل بيته ، وإن كان يطوى ذلك كله خوفاً من بنى أمية وعدوانهم :

أَحِبُّ الْحُسَيْنَ ، وَلَكِنَّا لَسَانِي عَلَيْهِ ، وَقَلْبِي مَعَهُ
جَبَسَتْ لِسَانِي عَنْ مَدْحِهِ حِذَارَ أُمِيَّةٍ أَنْ تَقْطَعَهُ
إِذَا الْفِتْنَةُ اضْطَرَمَتْ فِي الْبَلَاءِ

د ، ورمت النجاة فكن إيمه!^(٢)

(١) سورة الثوري آية ٢٣ .

(٢) الإمع والإمعة : الرجل الذي يتابع كل واحد على رأيه ، ولا يثبت على شيء ، وفي الحديث : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول إن أحسن الناس أحسنت . ولن أسأموا » =

فلما وصل الركب إلى غايته ، وطالعوا مشارف المدينة قالت
فاطمة بنت الحسين لمتها زينب : لقد أحسن هذا الرجل إلينا ،
فهل لنا أن نصله بشيء ؟ . فقالت زينب : والله ما معنا ما نصله به
إلا حُلِينَا ! ..

ثم نزعنا مامعهما من الحلي (سوارين ودُمَلجين) وبشتا به إلى
الرجل ، واعتذرتا لقلته أمام إحسانه وجميله ، فردّه الرجل معتذراً
في أدب وقال :

والله ، لو كان الذي صنعته للدنيا لكان هذا يرضيني ، ولكني
والله ما فعلته إلا لله ، ولقرا بكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! .
وهذه قولة رجل مسلم مؤمن ، يحفظ العهد ، ويصون الود ،
ويخلص الحب ، ويراقب ربه في دينه وعقيدته وآل نبيه ، وهكذا
تكون مواقف الإباء والشهامة والنبيل .

وهكذا يتمثل حسن التقدير وعرفان الجميل في بنات الرسول ،
كما يتمثل صدق الوفاء في ذلك المسلم الأمين ، وإنما يعرف الفضل
لأهل الفضل أصحاب الفضل ! .

== أسأت ، ولكن وطئوا أنفسهم : إذا أحسن الناس أن تحسنوا ، وإذا أساءوا أن
تجنبوا إساءتهم « والأيات لشوق في » مجنون ليل » .

رحيلها إلى مصر

ولما أحس اليزيديون بمخطر السيدة زينب في وجودها بالمدينة ، واجتمع الناس عليها يدبرون للأخذ بثأر الحسين ، ورأوا أنها بفصاحتها وعقلها وثباتها مستهيج عليهم الخواطر ، وتؤلب الجماعات وتبعث الثورة ، وتلفت أنظار الأحرار إلى الدم المسفوك والثأر المضيع .

وأنها أصبحت في قلب دولتهم من أشد الأخطار عليهم ، اضطروها إلى الخروج من المدينة ، بعد أن شتتوا جماعتها ، وفرقوا عترتها ، وجعلهم في الأرض أبديد ، فاختارت رضى الله عنها مصر دار إقامة ، كما يروى ذلك بعض المؤرخين ، وإن كان ذلك موضع أخذ ورد ، واختلاف واضطراب ، وزيادة وتقصان ! ! .

عن مصعب بن عبد الله قال : كانت زينب بنت علي وهى بالمدينة تؤلب الناس على الأخذ بثأر الحسين ، فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة ، وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين وخلع يزيد ، بلغ ذلك أهل المدينة فخطبت فيهم زينب ، وصارت تؤلبهم على القيام للأخذ بالثأر .

فبلغ ذلك عمرو بن سعيد ، فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر ،

فكتب إليه : أن فرّق بينها وبينهم ، فأمر أن ينادى عليها بالخروج
من المدينة ، والإقامة حيث نشاء .

فقالت : قد علم الله ما صار إلينا ، قُتل خيرُنا ، وانسقنا كما نساق
الأنعام ، وحملنا على الأقتاب ، فوالله لا نخرجنا ، وإن أهرقت
دماؤنا ! .

فقات لها زينب بنت عقيل بن أبي طالب : يا ابنة عماء ! قد
صدقنا الله وعده ، وأورثنا الأرض أتتبعوا منها حيث نشاء ، فطبي
نفساً ، وقرى عيننا ، وسيجزي الله الظالمين ، أتردين بعد هذا
هواناً ؟ ارحلى إلى بلد آمن . . . !

وما زال أهلها بها حتى أقنعوها بالخروج والرحلة ، فدخلت
مصر في أول شعبان من السنة الحادية والستين للهجرة ، بعد موقعة
« كربلاء » بشهور ، فنزلت فيها بين الإجلال والإعظام ،
واستقبلت استقبالا يليق بالأكرمين من آل سيدنا محمد صلوات
الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين .



قيل : فلما بلغ نبأ قدومها إلى مصر أسمع المصريين خرجوا حفاة
خاضعين ، يتقدمهم الولاة والفقهاء والعظماء وكبار الأمة ، واستقبلوها
بالقرب من « بليس » عند مدينة « العباسية » التي سُميت بذلك
الاسم نسبة إلى العباسية بنت أحمد بن طولون ، وكان من بين

مستقبلها والى مصر مسلمة بن مخلد^(١) الذى تقدم منها وعزاها
 فى خشوع وخضوع ، وبكى فبكت وبكى الحاضرون ، ثم قالت :
 « هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ »^(٢) .

(١) تولى مسلمة بن مخلد إدارة مصر فى عهد معاوية من جهته ، ومكث فى إدارتها
 زمنا طويلا ، فزاد فى مسجدتها الجامع وزخرفته ، وجعل فيه الصوامع للأذان ، وأمر
 ببناء منائر فى جميع المساجد ، ولأن القارىء من حقه أن يقف أمام احتفال مسلمة بمقدم السيدة
 زينب ، مع أنه من أتباع الأمويين أو مرؤسهم على الأقل .
 (٢) سورة يس آية ٥٢ .

وفاتها

ثم احتلها مسلمة إلى داره بالجرء القصوى ، حيث بساتين ابن عوف الزهرى ، فأقامت فيها عابدة متهجدة ، صوامة قوامة ، حتى توفيت رضى الله عنها فى مساء يوم السبت ليلة الأحد لأربعة عشر يوماً مضت من شهر رجب سنة ٦٢ من الهجرة . ودفنت بمخدعها من دار مسلمة ، وبعد عام من وفاتها اجتمع أهل مصر ومعهم وجهائهم وقهاؤهم وقراؤهم ، وأقاموا لها موسماً حافلاً هو « المولد الزينبى » الذى لا يزال إلى اليوم يقام ، من أول رجب إلى منتصفه فى كل عام ! ...

قرأت فى كتاب « إسماعيل الراغبين » للصبيان فصلاً عن السيدة زينب جاء فيه : « قال الشيخ الشعراوى فى منته : أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع (فى مصر) هى ابنة الإمام على ، وأنها فى هذا المكان بلا شك ، وكان يخلع نمله فى عتبة الدرب ، ويمشي حافياً حتى يجاوز مسجدتها ، ويقف تجاه وجهها ، ويتوسل إلى الله تعالى فى أن الله يغفر له » ! ...

جثمانها

هذا وهناك كثير من الكتب العامة والمؤلفات الخاصة التي تحدثت عن جثمان السيدة زينب رضى الله عنها ، ووجوده في مصر بمكانه المشهور ، وأوردوا لذلك أدلة كثيرة : بعضها روايات تاريخية وبعضها حوادث شخصية ، أو رؤى منامية ، أو ما أشبه ذلك .

وبجوار هؤلاء يوجد آخرون ينكرون وجودها في مكانها أو يشككون فيه ، أو لا يتطعمون به على الأقل ، وذلك لأسباب ، منها أنه من الصعب تحديد المكان الذى دفنت فيه تحديدًا مضبوطًا وخصوصًا بعد تقادم الزمن ، وتبدل الأبنية ، وتغير المعالم ، وكذلك يرون أن أكثر الروايات والأخبار التي وردت في هذا الباب تعتبر حوادث شخصية ، أو أخباراً فردية ، أو منامات ورؤى لا يعتمد عليها المؤرخ المحقق .

ومما يزيد الحديث عن ضريح السيدة زينب وعن أخبارها اضطراباً كثرة المسميات باسمها قبلها وفي عصرها وبعدها ، فلها أختان كل منهما تسمى زينب ، الأولى : تسمى زينب الوسطى ، والثانية تسمى زينب الصغرى ، وهناك غيرها زينبات كثيرات يحصين بالعشرات والعشرات ، من أمر العلويين وغير العلويين

في مختلف الأزمان والمصور ، وقد ألف كثير من العلماء والباحثين
كتباً مستقلة في أخبار أولئك الزينات ، وتستطيع أن تجد منها
الكثير في دور الكتب العامة إذا راجعت قوائم الفهارس
الخاصة بكتب المناقب في تلك الدور، وبخاصة دار الكتب المصرية
بالقاهرة .

رأى في تكريم الأولياء

على أنه لا يعننى كثيراً أن تكون السيدة زينب مدفونة في مصر أو في الشام أو في العراق أو في بلاد واق الواق ، فلست بعايد جثة أو وثن ، ولست بطائف حول ضريح أو مدفن ، وإنما أنا رجل أطلب القدوة عند أهلها ، وأهيم بالأسوة في مجالها ، وإنما أنا مسلم أعرف روح الإسلام الذى جعل الدين خالصاً لله ، وأفرده بالعبادة والتقديس ، وإنما أنا مؤمن أدين بحب محمد وآله وعترته ورجاله ، لا لأكتفى بزيارة قبورهم ، أو التمسح بأضرحتهم ، أو الاتكال على شفاعتهم وحدها ، بل أحبهم لخصالهم وخلالهم ، أحبهم لسموم وعلوم ، أحبهم لجلالهم وكمالهم ، أحبهم لشريف أعمالهم وأقوالهم ، أحبهم لأننى أحب أن أكون مثلهم ، وأن أقتدى بهم ، وأن أحنو حذوهم ، فأفوز كما فازوا ، وأحوز كما حازوا ، وأجوز الأهوال كما جازوا ! . . فإن لم أستطع بلوغ ذروتهم ، أو الوصول إلى قتهم ، فلا أقل من متابعتهم ، والسير فى آثارهم ، والاهتداء بأنوارهم ، والتشبه بطباعهم :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح !!



هذا شيخ النبيين وسيد المرسلين مولانا محمد العظيم عليه الصلاة
والتسليم يرقد في مكان متواضع من رمال الصحراء، ولكن نوره
يملأ النواحي والأرجاء .

ها هو ذا يرقد هناك، ولكنه حي هنا في قلبي وقلبك وقلب
كل مؤمن، وفي عقلي وعقلك وعقل كل مسلم، وإني لأستطيع أن
أحبه أقصى الحب وأعنفه بأن أكون متبعاً دينه وملته، فأنا
من يكتفون بالأشباح، ولكنني هائم بدنيا الأرواح ! .

فيا مسلمي العالم، لا تطيلوا حواركم وجدالكم ولا تنصبوا
أشراك المداوة بينكم، ولا تختلفوا كثيراً حول الأضرحة
ومواقعها، والموتى ومدافنهم، واجمعوا إن شئتم على حب نبيكم
وآله بالاعتداء به، والنسج على منواله، واجتمعوا إن شئتم على
التأسي بصالحكم وأوليائكم، تفوزوا برضا ربكم، وتنعموا بشفاعة
أحبائكم !!! .

اذكروا أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : « أدبوا أولادكم
على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة
القرآن، فإن حملة القرآن (يعني العاملين به) في ظل الله، يوم
لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفياه » .

فلا يكن حبكم كلة تردد، أو دينكم زورة تؤدي، بل اجعلوه
حباً وتقرباً، وقدوة وعبرة، ونوراً وهداية ! .

اذكروا أن نبيكم عليه الصلاة والسلام قد قال : « إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، والله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب . ولكن لا يعطي الدين إلا من أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه »

فانظروا في أنفسكم فأتتم أدري بها : أعطاكم الدين فعملتم به ، أم غرکم بالله الغرور !! .

اذكروا أيها الناس أن أولئك السادة الذين تحبونهم أو تدعون جهم كانوا أسبق منكم إلى العمل والدأب عليه ، فلم يركنوا إلى قرابة ، ولم يتكلموا على شفاعته ، بل كانوا يرون العمل العام أو النفع الاجتماعي خيراً من العبادة الفردية . فهذا رجل يأتي إلى الحسن يستعين به في حاجة ، فيجده في خلوة ، فينصرف إلى الحسين ، فيقضيها له قائلاً : « لقضاء حاجة في الله عز وجل أحب إلي من اعتكافي شهرًا » .. !

واذكروا أن ذنوبكم التي تقترفون ، ومنكراتكم التي تصرون عليها لا تعني عنكم بمجرد أن تسعوا إلى أضرحة أولئك الأكرمين أو تظاهروا بحبهم والتعلق بهم ، وما أتم أولاء تقراء في قرآنكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كيف أدب الله نساء نبيه وهن نساء نبيه ، وكيف حذرهن من المعصية وأنذرهن عليها العذاب مضاعفاً ، وكيف حرضهن على القربات والصلوات

ليكنَّ قدوةً للمسلمات ومثلاً للمؤمنات فقال في سورة
الأحزاب :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا فَتَمَايُنَّ أُمْتَكُمْ وَأَسْرَحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ، وَإِن كُنْتُنَّ
تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا . يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ،
وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا
مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ
مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ، فَيَطْمَعَ الَّذِي
فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ، وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ، وَقرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ،
وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ ، وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا . وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي
بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا
خَبِيرًا ^(١) » !



ثم أيها المتظاهرون بحج الرسول وآل بيته ، وليس لكم من حقيقة الحب نصيب ! .. أيها المدعون للتصوف وليس لكم منه إلا ظاهره ، أيها المحيطون بالأبواب والعتبات والجدران ، أيها الضالون في مفترق الطرق ، أيها المطيلون للحى ، المرقعون للثياب ، المرددون للأوراد ، المتمنون بالكلمات ، الثابرون على مسامرة المسابح ، والله عليم بسرائركم ، أيها المكتفون بالصورة دون الأصل ، وبالشكل دون المعنى ، دعوا هذا البهتان ، فأتم علة في جسم الإسلام ، وأتم قنام فوق مرآة الدين ، وأتم نكبة من نكبات الوطن ، فآتركوا هذا الضلال ، واستقيموا على سواء السبيل ! ! ..

عن عبد الله بن زيد قال : مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته : يا راهب ، فلم يجبنى ؛ فناديته الثانية فلم يجبنى ، فناديته الثالثة فأشرف على وقال : يا هذا ! ما أنا براهب ، إنما الراهب من رهب الله في سمائه ، وعظمه في كبريائه ، وصبر على بلائه ، ورضى بقضائه ، وحمد على آلائه ، وشكره على نعمائه ، وتواضع لمظمته ، وذلل لمرتته ، واستسلم لقدرته ، وخضع لمهاботه ، وفكر في حسابه وعقابه ، فتهاره ساءم ، وليله قائم ، قد أسهره ذكر النار ، ومسألة الجبار ، فذلك هو الراهب .

أما أنا فكلب عقور ، حبست نفسى في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم ! ..

فقلت : يا راهب ، فما الذى قطع الخلق عن الله بعد أن عرفوه؟ فقال : يا أخى ، لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها ، لأنها محل المعاصي والذنوب . والعامل من ربح بها عن قلبه ، وتاب إلى الله من ذنبه . وأقبل على ما يقربه من ربه !! .

بحث السيوطي

ثم تأتي فيما يلي على بحث للسيوطي عن السيدة زينب عنوانه
« العجاجة الزينية^(١) » في السلالة الزينية » وهو بحث مخطوط
ضمن مجموعة رقم ٧٢ مجاميع (تيمور) بدار الكتب المصرية ،
ويقول فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى :

مسألة : على بن أبي طالب رضى الله عنه رزق من الأولاد
الذكور واحدا وعشرين ولداً ، ومن الإناث ثمان عشرة ، على خلاف
في ذلك ، والذين أعقبوا من ولده الذكور خمسة . قال ابن سعد في
الطبقات : كان النسل من ولد على لخمسة : الحسن ، والحسين ،
ومحمد بن الحنفية ، والعباس بن الكلاية ، وعمر بن التغلبية .

مسألة : فاطمة الزهراء رضى الله عنها رزقت من الأولاد خمسة :
الحسن ، والحسين ، ومحسن ، وأم كلثوم ، وزينب ؛ فأما المحسن
فدَرَجَ سَقَطاً^(٢) ، وأما الحسن والحسين فأعقبا الكثير الطيب ،

(١) الزنب : طيب أو شجر طيب الرائحة ، والزعفران .

(٢) أى مات عند ولادته .

وأما أم كلثوم فتزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وولدت له زيدا ورقية ، وتزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر بن أبي طالب فأت بها ، ثم تزوجت بعده أخاه محمداً ، فأت بها ، ثم تزوجها بعده أخوه عبد الله بن جعفر فأت به ، ولم تلد لأحد من الثلاثة شيئاً ، وأما زينب فتزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر ، فولدت علياً وعونا الأكبر وعباساً ومحمداً وأم كلثوم .

مسألة : أولاد زينب المذكورة من عبد الله بن جعفر موجودون بكثرة ، وتكلم عليهم من عشرة أوجه :

أحدها : أنهم من آل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالإجماع ، لأن آلهم المؤمنون من بنى هاشم والمطلب .

وأخرج مسلم والنسائي عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً . فقيل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته ؟ فقال : أهل بيته من حُرِّمَ الصدقة بعده . قيل : ومن هم ؟ قال : آل علي ، وآل عقیل ، وآل جعفر ، وآل عباس .

الثاني : أنهم من ذريته وأولاده بالإجماع ، وهذا المعنى أخص من الذى قبله . قال البغدادى فى التهذيب : أولاد بنات الإنسان لا ينسبون إليه وإن كانوا معدودين فى ذريته ، حتى لو أوصى لأولاد أولاد فلان يدخل فيه ولد البنت .

الثالث: أنهم هل يشاركون أولاد الحسن والحسين في أنهم ينسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ والجواب: لا . وهذا المعنى أخص من الوجه الذي قبله .

وقد فرق الفقهاء بين من يسمى ولداً للرجل وبين من ينسب إليه ؛ ولهذا قالوا : لو قال وقفت على أولادى دخل ولد البنت . ولو قال : وقفت على من ينسب إلى من أولادى : لم يدخل ولد البنت .

وقد ذكر الفقهاء من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ينسب إليه أولاد بناته ، ولم يذكروا مثل ذلك في أولاد بنات بناته ، فالخصوصية للطبقة العليا فقط ، فأولاد فاطمة الأربعة ينسبون إليه ، وأولاد الحسن والحسين ينسبون إليها فينسبون إليه ؛ وأولاد زينب وأم كلثوم ينسبون إلى أبيهم عمر وعبد الله لا إلى الأم ؛ ولا إلى أبيها صلى الله عليه وسلم ، لأنهم أولاد بنت بنته لأولاد بنته ، فجرى الأمر فيهم على قاعدة الشرع في أن الولد يتبع أباه في النسب لا أمه ، وإنما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التي ورد الحديث بها ، وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين .

أخرج الحاكم في المستدرک عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل بنى أم عصبية ، إلا ابنة فاطمة ، أنا وليهما وعصبتهما .

وأخرج أبو يعل في مسنده عن فاطمة رضى الله عنها قالت :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل بنى أم عصة إلا ابنى
فاطمة ، أنا وليهما وعصتهما .

فانظر إلى لفظ الحديث كيف خص الانتساب والتعصيب
بالحسن والحسين دون أختيهما ، لأن أولاد أختيهما إنما ينسبون
إلى آبائهم .

ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريعة لا يكون
شريعاً ، إذا لم يكن أبوه شريعاً ، ولو كانت الخصوصية عامة في
أولاد بناته وإن سفلن لكان ابن كل شريعة شريعاً تحرم عليه
الصدقة وإن لم يكن أبوه كذلك ؛ وليس كذلك كما هو معلوم .

ولهذا حكم صلى الله عليه وسلم بذلك لابنى فاطمة دون غيرها
من بناته ؛ لأن أختها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تعقب ذكر آحتى يكون كالحسن والحسين في ذلك ، وإنما أعقبت
بنتاً ، وهى أمامة بنت أبى الماص بن الربيع ، فلم يحكم لها صلى الله
عليه وسلم بهذا الحكم مع وجودها في زمنه ، فدل على أن أولادها
لا ينسبون إليه لأنها بنت بنته ، وأما هى فكانت تنسب إليه بناء
على أن أولاد بناته ينسبون إليه ، ولو كان لزينب بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن والحسين
في أن ولده ينسبون إليه صلى الله عليه وسلم .

هذا تحرير القول في هذه المسألة ، وقد خبط جماعة من أهل
العصر في ذلك ، ولم يتكلموا فيه بعلم .

الوجه الرابع : أنهم هل يطلق عليهم «أشراف» ؟ . والجواب :
أن اسم « الشريف » كان يطلق في الصدر الأول على كل من كان
من أهل البيت ، سواء أكان حسنيًا ، أم حسينيًا ، أم علويًا من ذرية
محمد بن الحنفية . وغيره من أولاد علي بن أبي طالب ، أم جعفريًا ،
أم عقيليًا أم عباسيًا .

ولهذا تجد تاريخ الحافظ النهجي مشحونًا في التراجم بذلك
القول : الشريف العباسي ، الشريف العقلي ، الشريف الجعفري ،
الشريف الزيني .

فلما ولي الخلافة الفاطميون بمصر قصرُوا اسم الشريف على
ذرية الحسن والحسين فقط ، فاستمر ذلك بمصر إلى الآن .

وقال الحافظ ابن حجر في كتاب « الألقاب » : الشريف ينفذ
لقب لكل عباسي ، وبمصر لقب لكل علوي ، انتهى .

ولا شك أن المصطلح القديم أولى ، وهو إطلاقه على كل
علوي وجعفري ، وعقلي وعباسي ، كما صنعه النهجي ، وكما أشار إليه
الماوردي في « الأحكام السلطانية » من أصحابنا ، والقاضي أبو يعلى
ابن الفراء من الحنابلة كلاهما ، ونحوه قول ابن مالك في الألفية :

« وآله المستكملين الشرفا » . فلا ريب أنه يطلق على ذرية زينب المذكورين « أشراف » .

وكم أطلق النهي في تاريخه في كثير من التراجم قوله « الشريف الزيني » .

الوجه الخامس : وقد يقال على مصطلح أهل مصر : « الشريف » أنواع : عام لجميع أهل البيت ، وخاص بالذرية ، فيدخل فيه الزينية ، وأخص منه شريف النسبة . وهو يختص بذرية الحسن والحسين .

الوجه السادس : أنهم يحرم عليهم الصدقة بالإجماع ، لأن بنى جعفر من آل

الوجه السابع : أنهم يستحقون من وقف « بركة الحبش » بالإجماع ، لأن بركة الحبش لم توقف على أولاد الحسن والحسين خاصة ، بل وقفت نصفين : النصف الأول على الأشراف ، وهم أولاد الحسن والحسين ، والنصف الثانى على الطالبين وهم ذرية على بن أبي طالب من محمد بن الحنفية وإخوته ، وذرية جعفر ابن أبي طالب ، وذرية عقيل بن أبي طالب .

وثبت هذا الوقف على هذا الوجه على قاضى القضاة بدر الدين يوسف البخارى فى ثانى عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة ، ثم اتصل ثبوته على شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام فى

تاسع عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة . ثم اتصل بثبوتها على قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة . ذكر ذلك ابن المتوج في كتابه « إيقاظ المتأمل » .

الوجه الثامن : أنهم هل يلبسون العلامة الخضر أو لا ؟ .
الجواب أن هذه العلامة ليس لها أصل في الشرع ولا في السنة ، ولا كانت في الزمن القديم ، وإنما حدثت سنة ثلاث ومبشرين وسبعائة ، بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين ، وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره . منه قول أبي عبد الله ابن جابر الأندلسي الأعمى صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير :

جعلوا لأبناء الرسول علامةً إن العلامة شأنٌ من لم يشهر
نور النبوة في وسيم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الأشهر !

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم المشقي :

أطراف تيجان أمت من سنن

خُضِرَ بأعلام على الأشراف

« والأشرف السلطان » خصهم بها

شرفاً ليمرّضهم من الأطراف

وحظ الفقيه في ذلك إذا سئل أن يقول : لبس هذه العلامة

بدعة مباحة ، لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره ، ولا يؤثر

بها من تركها من شريف وغيره .

والمنع منها لأحد من الناس كائناً من كان ليس أمراً شرعياً ،
لأن الناس مضبوطون بأنسابهم الثابتة ، وليس لبس العلامة
مما ورد به الشرع ، فيتبع إباحةً ومنعاً أقصى ما في الباب أنه أحدث
التمييز بها لهؤلاء عن غيرهم .

فن الجائز أن يخص ذلك بخصوص الأبناء المنتسبين إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ، وهم ذرية الحسن والحسين .
ومن الجائز أن يعمم فيهم وفي كل ذريته وإن لم ينسبوا إليه
كالزينية .

ومن الجائز أن يعمم في كل أهل البيت ، كما في العلوية
والجعفرية والمقلية ، كلُّ جائز شرعاً .

وقد يُستأنس فيها بقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ
وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ
أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ » (١) .

فقد استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس
يختصون به ، من تطويل الأكمام ، وإدارة الطيلسان ، ونحو ذلك ،
ليعرفوا فيجلاوا تكريماً للعلم ، وهذا وجه حسن ، والله أعلم .
الوجه التاسع : هل يدخلون في الوصية على الأشراف ؟ .

(١) سورة الأحزاب آية ٥٩ .

الوجه العاشر : هل يدخلون في الوقف على الأشراف ؟ .

والجواب : أنه إن وجد في كلام الموصي والواقف نص يقتضى دخولهم وخروجهم اتباع ، وإن لم يوجد فيه ما يدل على هذا فقاعدته الفقيه أن الوصايا والأوقاف تنزل على عرف البلد ، وعُرف مصر من عهد الخلفاء الفاطميين إلى الآن أن الشريف لقب لكل حسنى وحسينى خاصة ، فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف ، وإنما قدمت دخولهم في وقف « بركة الحبش » لأن واقفها نص في وقفه على ذلك ، حيث أوقف على ذلك ، فإنه وقف نصفها على الأشراف ونصفها على الطالبين .

تم ذلك بحمد الله وعونه ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ضريح

قال المؤرخون : ودفنت السيدة زينب رضى الله عنها في دار مسلمة بن مخلد بالجرء القصى في بدء فسطاط مصر ، ثم هيئ لها ضريحها الدائم الذى توجد فيه الآن كما يروون ، وكان ضريح السيدة زينب يقع في الجهة البحرية من دار مسلمة ، ويشرف على الخليج .

ثم اندثرت الدار إلا الضريح ، فإنه كان مصوناً يزار ، ويمجدد كلما تهدم ، وتتابعت الدول وتوالت الأمراء ، وكل منهم حتى معتم بخدمة الضريح ، مع كثير من أفاضل أهل العلم والولاية ، وفي مقدمتهم العارف بالله السيد محمد أبو المجد القرشى الحسينى المعروف بالشيخ « العتريس » خادم الضريح ، وهو أخو السيد إبراهيم الدسوقي ؛ وقد توفى سنة ٦٧٦ هـ ، وهو مدفون بالجهة البحرية من ضريح السيدة زينب ؛ ومن شعر الشيخ العتريس في التصوف قوله :

سقاني محبوبى بكأس المحبة

قمت على العشاق سكرًا بخلوتي

ولاح لنا نورُ الجلالة لو أضاء لصمَّ الجبال الراسيات لدُكَّت

وكنْتُ أَنَا السَّاقِي لِمَنْ كَانَ حَاضِرًا
أَطُوفُ عَلَيْهِمْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ
تَجَلَّى لَنَا الْمَحْبُوبُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ فَشَاهَدْتُهُ فِي كُلِّ مَعْنَى وَصُورَةٍ
وهذا شعر يذكرنا من بُعد بقول الحق عز من قائل :
« وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ^(١) » . وقد يجد فيه بعضهم نسباتٍ من فكرة
« وحدة الوجود » ! .



وكان الضريح الزينبي منذ القدم مزدانا بالقباب والمحاريب
والنقوش ، وقد أُجريت فيه إصلاحات في عهد المماليك الفاطمي ،
والمستنصر الفاطمي ، والملك العادل بن أيوب ، والسلطان سليمان
خان بن السلطان سليم . والأمير عبد الرحمن كتخدا ، وبعض
المماليك ، ومحمد علي ، وعباس ، وسعيد ، وتوفيق ، وغير أولئك
كثير من الملوك والأمراء والوزراء الذين كانوا يستجيبون لرغبات
الجاهلير ، بالناية والاهتمام بأمر ذلك الضريح ، وما يتبعه من حرم
ومسجد .

خاتمة

أما بعد ، فهذه ففحات من سيرة البتول الطاهرة السيدة زينب
رضى الله عنها ، كتبتها منذ عهد مديد وأمد بعيد مع كثرة أشغال
وحيرة بال ، لأهتدى بها ويهتدى بها من يريد ، وما بى نزعاً إلى
تجديد أو تحطيم ، وإنما هو نور الحقيقة أتلسه ، لأمشى على ضوء
مشكاته ، ولأنحرز ما استطعت من عثرات الريبة والشك ،
وأباطيل الزعم والوهم ، وترهات الأقاويل :

وما لى إلا آل أحمد شيمة وما لى إلا المنهب الحق منهب!

والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل ، وسلام على المرسلين ،
والحمد لله رب العالمين .

فهرس

الموضوع	الصفحة
قبس من كتاب الله	...
الإهداء	...
تصدير	...
مقدمة	...
عادة الموالد	...
منكرات الموالد	...
فضل آل البيت والأولياء	...
كل مجزى بعلمه	...
من هي السيدة زينب ؟	...
زواجها	...
صفاتها	...
جهادها مع الحسين	...
شجاعتها وصبرها	...
فداؤها لندرية أخيها	...
بلاغتها	...
رحيلها إلى الشام	...
أمثلة من شجاعتها وبلاغتها	...
رحيلها إلى مصر	...
وقاتها	...
٩١	

الصفحة	الموضوع
٧٠	جئناها
٧٢	راى فى تكريم الأولياء
٧٨	بحث للسيوطى
٨٧	ضريحها
٨٩	خاتمة



مطابع الدار القومية للطباعة والنشر
ت : ٤١٠١٣ - ٤٠٧٥٣ - ٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨